قلبي يحدثكم

د. علي بن حمزة العُمري

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمري، علي بن حمزة

قلبي يحدثكم./ علي بن حمزة العمري- الرياض، ١٤٣١هـ

١٥٢ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٩-٩٢٧-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ٨٣٨٨ / ١٤٣١

رقم الإيداع: ٨٣٨٨ / ١٤٣١

ردمك: ٩-٩٢٧-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى الخاصة بالعبيكان

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

طبع هذا الكتاب بالتعاون مع جامعة مكة المفتوحة

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر العبيكان Obeikan **للنشر**

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١/ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤/ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

الحمد لله، والصلاة والسلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المُقَدِّمَة

أكبر موضوعٍ يهمني ويؤرقني الشباب..

أحلم بهم، أعيش بينهم..

أسمع لهم، أتحاور معهم..

بهم أفرح، وعنهم أحزن..

كل طريق يمر بقلوبهم، أو عقولهم، عبرته..

بقناةٍ فضائية، بمركز بحث، بمجلة، بكتب، بمواقع إلكترونية، بنوادٍ..

وما بقي إلا أن أعبِّر بقلبي عما فيه تجاههم..

لذا جاءت هذه الرسالة المباشرة؛ ليقرأها كل شاب كرسالة خاصة عفوية..

فيها حنان الحبيب، ونصح الصديق..

فيها تكفيف الدموع الحزينة، وترطيب القلوب المكلومة..

فيها هداية الحائر، ورفع المنائر لمشاريع العمل والتطوير والتنمية..

رسائـل من أعماق أعمـاق الفؤاد، مستوحـاةً من تجارب عقود من الزمان، مستشرفةً آمالا تعبر المحيطات..

لعـل في سهولتهـا وصدقهـا وحيويتهـا، ما يجـدد العزم، ويصحح المسير، ويرقق القلب، واللحاق بركب شباب المستقبل.

في حياة حلوة مغلفة بالمشقة!.

البداية

هأنذا أتجـرأ على نفسي، وأكتب لكم هـذه الرسائل التي تأخرت.

لقـد ظـل الإخـوة في موقـع (4Shbab.net) يطالبونني -منـذ سنتين- أن أكتب لهم مقالا أسبوعيًا، خاصًا بهم، فكنت أُديمُ الاعتذار؛ لأن الكتابة عندي تمر بمراحل مَدٍّ وجزر، وذلك طبيعـي؛ لأن تقلبات النفـس طبيعية، ولأن الكتابـة الأسبوعية تتطلب حضورًا ذهنيًا، ومادة جيدة، تستحق القراءة أو الإشادة.

وقد يتساءل البعض: ما الذي جدَّ حتى وافقت على الفكرة.

والجواب: أن الأفكار هي التي جدَّت، حتى زاحمتني في كل مكان، فاضطُرِرْت أن أُفرغ طاقتي الروحية والفكرية والحياتية لأصدقائي وإخواني الشباب.

ولعلـي أنتهـز الفرصـة في هـذه الرسالة؛ التـي التزمت بسهولتهـا وقصرهـا؛ لأقـول: إنه على قدر تزاحـم الأفكار في أدمغتنا إلا أن محدودية طاقاتنا تجعلنا متنازعين نحو أمرين:

أولهما: تنفيذ ما يدور في أنفسنا وعقولنا من أفكار.

ثانيهما: التأني والحذف والشطب، أو التعديل والتطوير.

وفي كلتا الحالتين فنحن لا ندري أين الخير، وأيهما الأَوْلَى.

وكثيرًا ما يحصل هذا في حياتنا الدراسية، أو مشاريعنا العملية، أو حتى في علاقاتنا وطموحاتنا.

والأمر في ظَنِّي بحاجة إلى الوعي في جانبين مهمين:

أولهما: الوعي بحقيقة الفرص المتاحة، واهتبالها.

ثانيهما: الثقة بإرادة الله.

وكلاهما لو تأملنا في الأمر يعود إلى التوفيق والتيسير من الله وحده.

فأنت لن تَهْتَبِل الفرصة ما لم تستعِنْ بالله؛ الذي هداك لهذا الأمر ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، والثقة بإرادة الله تجعلك دائم الدعاء بالتوفيق، مع استخارته فيما يعِنُّ من أمر.

وقد مررتُ بمشاريع كثيرة، وعاصرت ناجحين كُثُرًا، مرُّوا بنفس المرحلة، نتحدث عنها في موضوعنا القادم.

الفرص

في مسلسل (كالح بن فالح) الكاريكاتوري، للمبدع: فهد الخميسي، فكرة جميلة، صوَّر فيها أمًّا مع ابنتها وهي تخبرها أن جارتها (الخطّابة) تريدها في موضوع، في المقطع الثاني أظهر صورة الفتاة مع الخطّابة وهي تحييها، وتذكر جمالها، وأن خاطبَينِ تقدَّما لها، أحدهما اسمه (عطية) يشتغل سوَّاقًا، والآخر اسمه (كالح) ويشتغل ضابطًا، وبعد أن خيرتها، ظهرت صورة الفتاة وهي خجولة، وقد اختارت: الضابط طبعًا.

وفي الصورة الختامية صورة (كالح) وهو يحمل دفًّا، يضرب به ويغني (ياليحالي ياليحا)!؛ حيث ظهرت الحقيقة، واتضح أن عطية يشتغل سواق طيارة بوينج، يعني: (كابتن طيار)، وأنَّ كالحًا يشتغل ضابط إيقاع في فرقة شعبية!.

هذا المشهد الكاريكاتوري يُعتبَر مزيجًا من أفكار عن موضوع الفرص؛ فهو في حد ذاته (فرصة)؛ لأنه (فرصة) تواصل سهل مع المجتمع، ويفتح آفاقًا واسعة لبناء العلاقة، والقبول في الوسط.

وفكرة المشهـد تتجلى فيها فكرة (الفرصة)، فالأمر ربما كان يحتاج إلى سؤال وبعض المقارنات، وأيًّا كان الأمر فالنهاية جميلة!.

لكن ألم يَلفـت انتباهنا أن فكرة المشهـد، وجمال صورته وتأثيره، قائمة على البساطة والإتقان؟!.

فالمشهد بسيط وقريب للقارئ، وهو في الوقت نفسه بديع، وفيه فكرة جديدة.

باختصـار: إن فكـرة اهتبـال الفرص تقـوم على ثلاث دعامات، هي:

المبادرة إن كان الأمر سهلًا، وقريبًا من الناس، وفيه فكرة ممتازة، إن بعض المبادرات الناجحة، بـل الواسعة الانتشار، اعتمدت هذه المعادلة:

بساطة + قرب من الناس + فكرة ممتازة = نجاح

هـذا مـا يتعلـق بالفرص أو المبـادرات، بينمـا المشاريع الإستراتيجية تحتاج - مع اهتبال الفرص- إلى مقومات بقاء.

الإجازة

فمع مستهل الإجازة أتمنى لكم أن تقضوا فيها وقتًا ممتعًا ونافعًا، وأتمنى أن تحذروا من الأخطاء الشائعة؛ التي يقع فيها كثير من الشباب الطيب، فيخرج منها كالمُنبتِّ، لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى!.

ومن هذه الأخطاء:

١- وضع خطة (كوكتيلية)؛ فهو يريد حفظ القرآن، وبعض كتب السنة، ومطالعة بعض كتب التاريخ والأدب والفكر والدعوة، والمشاركة في بعض الأنشطة الطلابية، مع السفر للسياحة في بعض الأماكن القريبة والبعيدة، وإجابة دعوات الأهل والجيران، وحال هؤلاء كبالُونٍ ينفخون فيه ليطيروا به، فلما طار بهم أوقعهم أرضًا!.

وللاستفادة من الإجازة يمكن أن نسمح بعصير (الطبقات)، لا عصير (الكوكتيل)!، بمعنى وضع أولوية لما ينبغي عمله وترتيبه لا تداخله؛ فحفظ القرآن في ثلاثة

أشهر يمكن أن يحصل، ولكنَّ حفظه بالمستوى المأمول من النظر في متشابه القرآن، وأسرار ختام الآيات، وترابطها مع ما قبلها وما بعدها لتمكين الحفظ، فهذا لا يكفي فيه ثلاثة أشهر.

وقراءة بحث أو كتاب جَادٍّ يسع له وقت هذه الإجازة يحتاج ربما شهرين أو أكثر أحيانًا.

ومثل ذلك إتقان جوانب في اللغة أو الحاسوب.

لا بد من وضع هدف واحد يتسع له وقت الإجازة، وقد أثبتت التجارب أن مردود التركيز في مثل هذه الإجازات له أثر إيجابي كبير، وفيه تعويد على تقدير الأمور بقدرها.

ثم بعد هذا الهدف يمكن وضع أفكار تابعة.

٢- لا يمكن أن يعيش المرء حياته كلها جادًّا دون ترفيه، وفي تشريع الإسلام اللهو، والنية الصالحة المصحوبة مع هذا العمل تطمئن المرء على عدم وجود عبء عليه، وفترات الاستجمام والاسترخاء هي في الحقيقة مرحلة طاقة، أو توليد طاقة، كل ما في الأمر أن تكون هذه الفترة معقولة ومنسجمة مع النفس.

٣- من الجميل والمفضَّل أن يستفيد الشباب من الإجازة بشيء جديد، أو اكتساب مهارة جديدة، فليس شرطًا أن تكون المعارف مقروءة على قيمتها.

٤- يرتبط ذكر الإجازة بالسفر، وللسفر أبعاد متعددة، وتجارب ناجعة، مـن أقصى اليمين إلى أقصـى اليسار، وأظن أن تجربتـي الطويلـة في قارات العام تستدعـي أن نخصص لها الرسالة القادمة، عَسَاي أن ألخص أسفار ثلاثة عقود في ثلاث أفكار!.

السفر

لست أدري هل أنا محظوظ بكثرة السفر أم لا؟.

فقد قال لي أحدهم: إن عالمك في السماء أكثر من عالمك في الأرض!.

أنا واحد من الناس الذين قدَّر الله عليهم أن يكثروا السفر في كل مكان، ولي في ذلك قدوةٌ وسلفٌ.

فموسى عليه السلام سافر إلى فلسطين، وزكريا عليه السلام سافر إلى دِمَشْق، ومحمد صلى الله عليه وسلم سافر إلى بصرى الشام.

والسيرة مليئة بالأسفار منذ حادثة الهجرة إلى الحبشة، ومن ثم المدينة، وما حصل للصحابة من تنقل دائم، وقبورُهم خير شاهد.

ففي حمص لوحدها - من بلاد الشام- أكثر من خمس مئة من الصحابة، وفي دمشق مئات أخرى.

وفي تركيا أبو أيوب الأنصاري، وفي قبرصَ أم سلمة.

ومـن تتبـع كتابًا واحـدًا من كتـب أئمة السلـف الصالح (رحمهـم الله)، وهـو كتاب الرحلـة في طلب العلـم للخطيب البغدادي، يدركْ بعض أسرار السفر.

«السفـر قطعة من العذاب» فلمـاذا أُفكِّر ويفكر غيري في السفر؟!.

وعندي أن الحديث له معنيان:

١- أن السفـر لا يمكن أن يكـون معه استقرار نفسي أو روحي أو بـدني؛ لأن الغربـة والحنين والشوق إلى موئـل الإنسان ومرتع صباه أصيلة، كما الفطرة أصيلة.

٢- أن السفر مشقة وعناء وتعب، ولا يقدر عليه إلا من يكابده، ومن كابده استخرج الكنوز والعبر.

وقـد زرت القـارات كلهـا - بفضل الله- وقـرأت في كتب الكثـير ممـن كتب عـن الرحلات، كابـن بطوطـة، وكثير من تأمـلات السائحـين، وأدب رحلاتهـم، كالنـدوي والعبـودي والطنطاوي والأهدل، وعشرات غيرهم.

ووجدت أن ما يمكن أن أقدمه لكم - إخواني وأخواتي- في حدود رسالتي هذه ما يلي:

١- في السفـر نقلة فكرية وحضاريـة للمسافر، إن هو أحسن التنقل، وقـرأ بتمعن المكان الذي سيرحـل إليه، فثمة آثار

وأسرار شاهدة على تاريخ الدولة وحضارتها، وثمة رجالات ومعالم نهوض قائمة، تثير بمجموعها الوعي، وتُنضج الفكر.

٢- في كل دولة مُزارة خصائص وأبعاد قانونية، محل تأمل ودراسة، واللبيب من يحسن تتبع أهم ما لديها من وثائق ومجلات، ومراكز بحث ودراسات، ومكتبات، بل فيها من متع الطبيعة وجمالها؛ التي ربما تعيد البهجة للنفس، وتريح القلب بعد كدر، وربما تسمح بفرصة لإعادة بناء النفس، أو التفرغ لإنجاز عمل، أو كتابة بحث، أو مراجعة خطة الحياة.

٣- وفي السفر آفاق إنشاء العلاقات، وتوطيد أواصر المحبة، والتطور والنصرة.

وإنشاء العلاقات المرسومة بهدوء وروية، وفي الموضع الصحيح، يفتح آمالًا مشرقة مع الحياة والأحياء، ويشعل وميض الإبداع في النماء والتجديد، في أمور الدين أو الدنيا، فثمة أفكار ومشاريع يمكن تطويعها للدعوة، وثمة أفكار تُستغل في التجارة وصناعة الحياة.

أتمنى من كل شاب وشابة عزموا على السفر أن يجمعوا مع المتعة الفائدة، فالتأمل والمراجعة في ظل السفر لها لون وطعم خاص.

واختيار الزمان والمكان المناسب للسفر، والإعداد الجيد له، منذ الاستقبال إلى الوداع، يمكن أن يعود بآثار عالية.

والسفر عند صاحب الرقة لا يطول، فحنينه دومًا لأول منزلٍ!.

وختامًا: من صحب اللهَ في سفره دامت عافيته، وطالت مسرَّتُه، ومن نسي الله في سفره تشتت شمله، وخاب سعيه.

اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، نسألك في سفرنا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى.

العادة السرية

حاول بعض الناس أن يهونوا من أي ضرر من جرَّاء هذه العادة، في حين بالغ آخرون في نتائجها.

وأرى - إخواني وأخواتي- أن نتبع الأثر القائل: الحكمة ضالة المؤمن..

وقد جالست شخصيًّا صنفين من الناس، هما: أطباء أمناء، متخصصون عن هذه العادة، وشباب مصابون بآثار جانبية.

ودعوني ألخص لكم هذه الحقائق:

١- العادة السرية أشبه - في جوانب متعددة- بالتدخين، وكلاهما عادة سيئة، هناك حالات لأشخاص كُثُر تهتكت عندهم الأنسجة الجنسية، حتى صار من الصعوبة أن تؤدي دورها الطبيعي في اللقاء الجنسي بعد الزواج، وهناك حالات أكثر من أن تُحصَى، يؤدي أصحابها العادة

بعـد الزواج، مما يؤثر نفسيًّا على صاحبها، وعلى العلاقة الزوجيـة، وفي العيـادات الخاصـة أخبار تُـروَى ولا تُطوَى، تُدمِع العين والقلب.

٢- عندمـا تتحول هذه العملية إلى عادة فإنها تعني اضطرابًا في التفكـير، وفتـورًا في الجسم، وتراخيًـا في العمل، يصل غالبًا إلى الإهمال.

٣- لا يخلو صاحب هذه العادة من آلام ظاهرة كبعض الحبوب، أو باطنة في التعب النفسي.

٤- لا تصاحـب فاعل العادة أيـة لحظات حبور وطمأنينة بعد أدائها!.

ولـديَّ كتـاب كنـت أود طبعـه قبـل بضع سنـين عن هذا الموضـوع، هو أقـرب إلى الدراسات العلميـة والعملية منه إلى الوعظ المباشر، عسى أن يكون قريبًا.

ولعلنـي أركّز في رسالتي هذه - في هـذا الموضوع الكبير- على مسألة مهمة:

يخطئ من يظن أن العلاج المكرور من ضرورة ملء الفراغ، والصيـام، والنوم على طهارة، ومصاحبة الأخيار، والبعد عن المثيرات، علاج ليس مباشرًا وناجعًا؛ لأننا لم نسمع عن مريض يود الخلاص من السمنة دون أن يتنازل عن الدهون، ودون أن يمارس الرياضة!.

الشهوة - إخواني وأخواتـي- أشبه بالعاصفة، تحتاج إلى من يحني لها رأسه، وهي كناية عن الفرار منها.

الأمر يحتاج إلى جلسة صريحة مع النفس، وقد عزم على عدم العودة إليهـا كثير، ونجحوا مَرَّاتٍ، وتعثروا في أخرى، إلا أن الذين نجحوا قالوا: إن هناك فرقًا هائلًا في التعامل، وراحة نفسية كبرى لا تُضاهَى، بل إن هذه العادة أبعدتهم تلقائيًا عن متابعة كل ما يَشينُ ويُتلِف الذوق والأدب.

ولا أملك إلا أن أهنئ الناجحين المجاهدين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

الشهرة

صدقـوني أنني أحب أن أكـون مشهورًا، وأقـول ذلك من كل قلبـي، أن يعرفني الرؤساء في أمريكا، وأوكرانيا، والصين، ومنغوليا، وسويسرا!.

أتمنى أن يتحدث عني الناس في الفضائيات، في الإنترنت، في الصحافة.

مـا الذي يمنع أن يكـون الإنسان مشهـورًا، تنظر إليه كل العيون، وتسأل عنه كل النفوس؟.

مـا الـذي يمنـع أن يُشـار إليـه بالبنـان، أن تُكتـب عنه الصفحات، وتُدبَّج في مسيرته القصائد؟.

أنـا شخصيًّـا لا أرى أي مانـع من ذلـك، وإن كان لديكم جواب غير هذا فصوِّبوني، فلربما كنت مخطئًا، كما كان يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (رحم الله امرءًا أهدى إلينا عيوبنا). وقوله: (إن أخطأت فصوبوني).

ولئن سألتموني تريد أن تكون مشهورًا مثل من؟، فسأقول: مثل عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!.

عمر - أيها الإخوة والأخوات- من ذا الذي لا يعرفه؟.

ألم تصل أخباره إلى كسرى والروم، ألم يعرفه كل من في المدينة؟.

ألم يعرفه الليل والنهار، عندما قال لمعاوية بن خَديج عندما ظنه نائمًا في النهار: بئس ما قلتَ يا معاوية، لئن نمت النهار ضيعتُ رعيتي، ولئن نمت الليل ضيعتُ نفسي، فكيف بالنوم بين هذين يا معاوية؟.

أتمنى والله أن أكون مشهورًا كعمر.

مشهورًا في الليل بالصلاة والاستغفار حتى يخط الدمع خدَّاي القاسيين.

وأتمنى أن أكون مشهورًا بالنهار، أُذلُّ نفسي في خدمة المسلمين، وأحمل حاجاتهم على ظهري، كما كان يحملها عمر.

أتمنى أن أكون مشهورًا كعمر.

يسأل عنه الهرمُزان - مندوب كسرى- فيجيبه العامي في سكك المدينة: ربما تجده تحت الشجرة!.

نعم هو الخليفة الأكبر، وأشهر رجل فيها، بل في الدنيا، ولكنه رجل عاديٌّ جدًّا، ليس باحثًا عمن يجري وراءه، ويتتبع

أخبـاره، ليس ساكنًـا في مسكن عاجي، بل مـن عامة الشعب، يأكل مما يأكلون، ويلبس مما يلبسون، ويعيش كما يعيشون.

أتمنى أن أكون مشهورًا كعمر.

مشهورًا بالعدل، حتى يقول أعدائي قبل أصدقائي: عدلتَ فأمِنتَ فنمتَ.

أتمنى أن أكون مشهورًا كعمر.

لأُسْهِـم في الفقه الحضاري، وأخشى أن يسألني الله عن رمي الأوراق، وإهمـال النظافة، وتأخـير المواعيد، كما كان عمر يخاف سؤال الله عن البغلة لو عثرت في العراق، لِمَ لَمْ يصلح لها الطريق!.

أتمنى أن أكون مشهورًا كعمر.

لأتلقى كل الصدمـات والانتقادات، وأن يقال لي: أنَّى لك هذا؟، ولأجيب بَنَفس صادق عن كل شيء، وأبدأ بأهلي وولدي، كما كان عمر يفعل.

أتمنى أن أكون مشهورًا كعمر.

يسألنـي الرجـل عن أناس غـير مشهوريـن، فأقول له ما قالـه سيدي عمر: ما ضرك أن يكـون ربُّ عمر قد عَرَفَهم ولم يعرفهم عمر!.

فيا رب اجعلني وإخواني الشباب منهم.

اليوتيوب

أظن أننا مؤمنون جميعًا بأن التغيرات الهائلة، والتطورات المذهلة؛ التي نمارسها ونعيشها، أصبحت أحيانًا أعلى وأسرع من قدرتنا على المواكبة.

فأنت قد تشتري جهاز (لابتوب) بألفي ريال، ثم ما تلبث بعد بضعة أشهر إلا ويخرج جهاز آخر، بمواصفات جديدة وعالية الجودة، ولكن بخمسة آلاف.

ومثل ذلك الجوال؛ الذي يتجدد بصورة عجيبة، وبإمكانيات خيالية، لربما لا يستطيع المستخدم له أن يستفيد من كل إمكانياته، وعند البعض يُعتَبرَ الجوال جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية والمستقبلية، ففيه كل البحوث والخطط والحسابات، على المستوى الفردي والمؤسسي، المعلن والمخفي.

ولكن ألا نلاحظ أنه على الرغم من حجم هذه المتغيرات؛ التي بلا شك فيها نسبة كبيرة من الفائدة للمرء، إلا أن بعض العيوب الخفية تسللت إلى حياتنا، بشكل غير متوقع؟!.

أو بمعنى آخر: ألم نشعر أننا إزاء أي محاولة جديدة للتطور نجد أنفسنا معرضين لبعض المخاطر؟.

أوليس عالم الإيميلات لا يخلو من بعض الرسائل التي تحمل أفكارًا وصورًا سيئة، تخدش الذوق والأدب، وهي مُرسَلة بطريقة عشوائية؟!.

أوليس عالم الجوال كذلك، وعلى الرغم من حفاظ البعض على كل ما يُسجل فيه، إلا أن بعض الرسائل التي تخترق الحجب تبعث كل ما يسيء إلى القلب والروح؟.

وأنها قد تنسي المرء الرقابة الربانية، وحفظ الملائكة، وربما يغيب عن باله أن عيوب الحرام تتكشف ولو بعد حين، وأنا شخصيًا - غفر الله لي- أصبحت لا آنس مع بعض الأصدقاء؛ الذين قلَّت في قلبي هيبتهم، وعندي أن سبب ذلك هو كثرة الخلطة، وزيادة الشبهة!.

واليوم - في عصر (اليوتيوب)- صار العالم كله بين يدي الإنسان، يقلبه باختياره كما يشاء، ويتنقل بين الصور والمشاهد، ويستطيع أن يتابع كل ما فاته قبل عقود من الزمان، أو قبل دقائق معدودة، طيبًا كان أم خبيثًا!.

ويبقى السؤال: وماذا بعد هذا التطور؟، هل سيُسخّر في الخير أم في الشر؟.

وهل -يا ترى- سيمتدُّ هذا التطور إلى أن يكون أداة الإدمان؟!.

أتمنى من كل شاب وشابة أن ينظر إلى الأمر بشيء من العقلانية والهدوء، وأن يوازن بين ما يشاهده في مثل برامج (اليوتيوب) وغيرها، وبين بقية البرامج الحياتية؛ التي هو بحاجة لها.

وبقدر وعي الإنسان، وشغل وقته في أعمال متنوعة ومفيدة، تعتاد النفس على التوازن في مقابل المتغيرات.

ومثال سريع على تصوُّر المسألة: الطالب المتخرج من الثانوية، وهو يحمل في قلبه الإيمان، ويسعى في الخير، ويتمسك بالفضيلة، لو سافر إلى بلاد الغرب لبعثة أو مهمة ما، وهو يسمع ويعرف ما يمكن أن يشاهده أو يلقاه في أيامه، فإنه في الغالب يبقى على نفس أدائه وعطائه الإيماني والدعوي في تلك البلاد، على الرغم من بعض ما يصيبه من أخطاء، هي من باب اللمم، وهذا شاهدناه وعاصرناه كثيرًا.

فالانفتاح ليس شرطًا أن يكون بابًا للشر يصعب سدّه.

وهكذا ينبغي أن نتعامل مع مثل هذه البرامج الجديدة (اليوتيوب)، بكل توازن، وألا ننفتح عليها بشكل كبير، فنُصدم، أو نُعاق بتأثيراتها، وأن نحرص دومًا على أن نستخدم كل

وسيلة نافعة لصالح مشاريعنا الخيرية والدعوية، في التطوير والتأثير.

أسأل الله أن يحمينا وإياكم وشباب المسلمين من كل شر، وأن يوفقنا للفائدة من كل خير.

التأليف

قديمًا ذكر سلفنا الصالح أسبابًا للتصنيف، منها اختصار كتاب مطوّل، أو شرح كتاب مختصر، أو الكتابة في شيء جديد، أو تتميم موضوع قديم.

واليوم تجددت صور الكتابة والتأليف، وفي تقديري أنه يمكن لبعض الشباب أن يكونوا من أصحاب التصنيف؛ الذي هو أقرب إلى الإعداد منه إلى التأليف.

ومثال ذلك: لو انبرى بعض مستخدمي الإنترنت لجمع أهم المقالات التي مرَّت عليهم طوال العام، وتصنيفها حسب الموضوعات، مع مراعاة الاختيار في حجم المقالة، وسهولتها، وقربها من القرَّاء، وعرض ذلك على خبير، لكان لهذه المقالات المجموعة دويٌّ وتأثير.

وكذلك لو انبرى شخص آخر لاختيار ما سمع من أشرطة أو مقطوعات، أو ما قرأ من قصص أو مقابلات، واشترط في اختياره الجودة والتجديد وإبداع الإخراج.

ومثله شاب ثالث، يضع في ذهنه عنوانًا مهمًا، بالغ التأثير والحاجة للجيل، فيجمع الشبيه إلى الشبيه، من البحوث والأشعار والمقالات والقصص والصور الإبداعية، إضافة إلى الكتب والمجلات والإنترنت، لكان عملًا جادًا ونافعًا.

وحتى أقرِّب المشروع بصورة عملية، فأذكر لكم كتاب (هكذا هزموا اليأس) للأستاذة سلوى العضيدان، فهو مادة مجموعة من عدة مصادر ومراجع ومحركات بحث، إلا أنه امتاز بـ:

١- وحدة الموضوع.

٢- سهولة وقرب المادة المجموعة.

٣- الاختيار المتميز.

٤- التنويع.

٥- التشويق.

٦- تكامل المادة.

٧- الأمانة العلمية في النقل.

٨- العرض على الخبراء والمتخصصين.

٩- حسن التبويب.

١٠- الإبداع في الإخراج.

ويمكن لكل شاب وشابة أن يستغل فرص المشاهدة والقراءة الطويلة في الإنترنت، والتجوُّل في صفحاته للبدء بهذا المشروع؛ الذي يُشترط فيه الشروط العشرة السابقة.

أتمنى أن أرى شباب (نادي القلم) وأعضاء (4Shbab)، وكل قارئ مهتم، قد عقد العزم، وحقق شروط العمل، وعندما يرى ثمرة عطائه سيحمد عقبى ما صنع، وسيتذكر قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

الغموض

من خلال التتبع والاستقراء في سيرة الحكماء والعظماء والرموز المقدَّرة؛ التي تحتل مكانة عالية في النفوس، فإنا سنجد أن لدى هؤلاء قدرة كبيرة على التحكم في الذات، والسيطرة على المواقف المختلفة.

إن ثمة ما يُسمَّى بـ (شعرة معاوية) بين الركود والشطط، وبين الخوف والتهور، وبين الحرص والهدوء، وبين الانطلاق والتسخين، وبين الغموض والتأمل.

ولو أردنا أن نقرِّب الصورة أكثر فلو تخيلنا مباراة ساخنة بين فريقين، ولا يكاد الجمهور فيها يهدأ من التصفيق، ولا اللاعبون يهدؤون من الحماس، وفي أثناء ذلك تلقط أعيننا صورة للاعب يود النزول للملعب، في فترة حرجة لفريقه، وهو يمتلئ حماسة، ولكنه يأخذ وقتًا في التمارين الرياضية، والتحرك في المضمار قبل النزول.

لربمـا لا يستوعب الجمهـور أو قد لا يقـدر سبب التأخر، وأنـه ليست ثمة حاجة لهذه التماريـن، طالما أن الحماس على أشدّه، والوقت حرج!.

كثير من الشباب - وخاصة المتدين- يمر بمراحل صعبة، يُطالـب فيها بإبداء الرأي، أو فرض الـرأي أحيانًا، قد يخسر بعدها كثيرًا من المواقف والعلاقات.

ولـذا يعجبني جدًّا الشاب الهادئ مـدة الخصومة والشد والجذب، وخاصة مع الأهل والأقارب.

يعجبنـي جـدًّا الشاب الـذي يتريث في طلـب الحكم على شخصـ أو موقف أو أستاذ أو قريب، وهـو بعدُ لا يملك أدوات الحكـم، أو يخشـى أن تُحْسَب كلماته علـى حساب طرف دون طرف.

إن تعلم فن السكـوت، وتمرير بعض المواقف دون أي بيان لفظي، أجدى للطمأنينة، وأقرب للصواب.

ليسـ شرطًـا أن نتكلـم في كل مجلسـ، وأن نعلّق على كل موقـف، وأن نداخـل في كل موضـوع، وأن نبـدي الـرأي في كل حدث.

بل ليس شرطًا أن نبدي التفاعل والانسجام الكامل مع كل حالة تتطلب التريث والتصبر.

إن الكثـير قادرون على الكلام، بينما هـم قليل القادرون على الصمت.

والكثير قـادرون على الغموض، بينما هـم قليلٌ القادرون على التأمل.

وفي حركة التاريخ أن القلة الواعية هي التي تكسب الجولة غالبًا!.

إن التأمـل والصمت في أثناء اللجج فن ومهارة، وينم عن عقليـة حكيمة ونفسية متماسكة، وهو ليـس تملصًا أو غموضًا أو خوفًا.

والحيـاة كلهـا تتطلب مبـادرةً، وصوتًـا مسموعًـا، ورأيًا واضحًـا، ولكنها في المقابل كثـيرًا ما تحتاج إلى طول تأمل، مع تعليق عام غير محسوب.

وقـد يُظـن أن قلـة الـكلام، وعـدم التفاعل مـع الحدث خسارة، وأحد دواعي غضب أطراف عدة، ولكن التجربة تثبت - في مستقبـل الأيام- أن غضب اللحظـة على السكوت يزول، وأن غضب المخاصمة والمناقشة لا يزول!.

المشكلات

لا يكاد يوجد أي فرد أو أسرة أو مؤسسة أو مجتمع إلا وتمر عليه بعض المشكلات؛ التي تحتاج إلى حل.

وقطعًا لن يكون الحل عند العقلاء إلا مبنيًا على توصيف صحيح ودقيق.

والتوصيف يعني ذكر الأسباب مع ملابساتها الحقيقية.

والملاحظ في كثير من المجالس الثنائية، والعائلية، والدعوية، الانشغال بالتوصيف، والاستمتاع بذكر أحوال الناس، وأخطائهم التي وقعوا فيها، وإخفاقاتهم في القيادة أو المسؤولية؛ التي كانت في عهدهم، في حين أن التوصيف وإن كان ينبغي أن ينال حظه المطلوب، إلا أنه لا بد أن يكون في إطار محدد؛ ليتجه الحديث بعدها في أغلب الوقت لتوظيف الحلول، ضمن سياقات عملية محددة.

إن كثيرًا من المشكلات - على المستوى الفردي أو العائلي أو المجتمعي- مكرورة، وربما يكون فيها بعض التطورات؛ التي

تسهم في فهم طبيعة المشكلة، لكن المطلوب بعد ذلك أن نتوجه لإيجاد الحلول المناسبة، وتوظيفها بشكل فاعل.

إن الإغراق في التوصيف يضيق وقت العلاج، ولنأخذ بعض الشواهد للتوضيح:

١- لو أن إنسانًا ألف كتابًا عليه بعض الملحوظات، وبدأ بعض الناس يتكلم في هذا الكتاب، والأخطاء التي عليه، في حدود مجلس صغير، وبعد فترة وُجِد مجلسٌ آخر يُثني على صاحبه، فقام الأول معلقًا على الأخطاء التي فيه، ثم بعد فترة قام المؤلف بتأليف كتاب ثانٍ، وأعيدت (السيمفونية) نفسها في التعامل مع الكتاب، يا ترى ما النتيجة المستفادة من هذا الكتاب؟، هل هو النقد الموضوعي، المفضي للاستفادة مما فيه، وترك الخطأ، أم النقد المظلم؛ الذي لا يسمح ببصيص ضوء؟!.

إن طول النقد على الملحوظات اليسيرة لن يجدي كثيرًا، ما لم يقابل بانفتاح في التأليف والمقارنة!.

ولو كانت هناك عدة مؤلفات في ذات الموضوع المطروح لكان للمتحدثين النظر والتعليق، ولربما النقد، وفوق هذا كله استثمار الوقت في المفيد، بدل الدوران حول قضية واحدة.

٢- لو أن قناة فضائية أخذت تشغل الرأي العام، والكل ينقدها، أو البعض ربما، ولكنها تستهلك نقدهم في مجالسهم،

وقـد يتسلل إليهـم الشيطـان لرؤية سقطاتهـا، من باب معرفة الشر!.

ما هو الحال بعدئذ يا ترى؟.

إن العقل الواعي يتجه مباشرة لإيجاد برنامج منافس، أو برنامج اختراقي ذكي، في القناة نفسها.

ولأجـل هـذا كله لا بـد أن نعيـد النظر في طريقـة فهمنا للمشـكلات وآلية حلولها، ليس على المستوى العائلي والمؤسسي والمجتمعـي فحسـب، بل حتى علـى مستوى الفـرد نفسه، فإن نشدان التوبة والخلاص من المعوقات، يتطلب جهدًا مضاعفًا في العلاج، لتحل البركـة والحياة الطيبة، وحينها فقط تتحول مجالسنا إلى مقارنات الإبداع والنجاح؛ التي تجعل الفرد يخرج من مجلسه ليفكر في الإبداع والتطور، بدل الهم والنقد!!.

ولا أدل على هذا الحال من واقع ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، واليابان بعد قنبلتي ناجازاكي وهيروشيما، فيا ترى ما الـذي نسمعه الآن عن هاتين الدولتين، بعـد شبه دمار لهما؟، أرجـوا أن نعقـد مقارنـة بسيطـة بـين مشكلاتنـا الشخصية والعائليـة والدعوية، وبـين مشكلات القـوم، وأن نعقد مقارنة سريعة بين النتائج بعد المشكلة لدينا ولديهم!!.

الجاهزية

من المعلوم أن للقصة أثرًا أكبر في إيصال المعلومة، وهي أدعى لبقاء الفكرة مركوزة في الأذهان؛ ولذا فلنبدأ القصة ثم الفكرة!.

حدث - ذات يوم- أن غبتُ عن خطبة الجمعة لظرف طارئ، ولم أستطع الوصول، ولم يستطع مَن في المسجد الوصول إلي.

ومضى الوقت، فطلب المؤذن من الحاضرين - ونسبة كبيرة منهم شباب يحضرون من أحياء مختلفة- أن يتبرع أحد بأداء الخطبة والصلاة، وأخذ الناس كل منهم ينظر إلى الأفق الواسع!!.

ومضى الوقت والمؤذن ينادي، والناس تنظر من هذا الذي سيتشجع، وفي مثل المسجد الكبير، جامع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله)، وبعد فترة قام رجل كبير السن، وبدأ الخطبة - بعد الحمد والثناء- بقوله: إنني آسف أن أتحدث وأنا في مثل سني في مثل هذا المقام؛ لأن الأصل

أن يقـوم أحد الشبـاب؛ الذين يملأون المسجـد، وهم خريجو حلقـات القرآن الكريم، وقد سمعوا وألقَوا الكثير من المواعظ، ودورهـم هو الدعوة إلى الله، وإذا حانت مثل هذه المواقف فلم يؤدوا دورهم فلماذا تعلموا؟!.

وكانـت هـذه الخطبـة البليغة مـن أبلغ الخطـب العملية المؤثـرة في جيل الشبـاب، حتى إني سمعت أحـد الإخوة ممن حضروا قال لي:

عندمـا سمعت هـذه الموعظة قلت في نفسـي: ليت الأرض بلعتني، ولم أعاتَب بمثل هذا العتاب!.

ونأتي الآن للفكرة!.

إن الكثير مـن الشباب يتوقعون أحداثًـا معينة، أو برامج محتملة، ولكن جاهزيتهم -وللأسف- ضعيفة.

يعلـم الطلاب في الكليات أن أستاذ أحد المواد من طبيعته الاختبـار المفاجـئ، عند آخر محاضـرة درسوها، ومع ذلك لا يتهيؤون لها!.

ويعلـم البعض أنه ممن يُدعـى كل شهر أو ثلاثة أو نصف سنـة لإلقاء موضـوع لبعض الحضور، في بيته أو مـع أقاربه أو في مدرسته، ومع ذلك يكـون استعداده ضعيفًا للغاية، وطرحه مكرورًا، أو ممجوجًا!.

لماذا لا نحمل روح المبادرة والجاهزية لأي شيء نؤمن ونتوقع أننا سنطالب به، وخاصة أننا في عصر اختزال وسائل الحفظ وقوة العرض؟!.

وشيء آخر: لماذا لا نستعد بالجديد، ونخطط له، طالما أن ثمة فرصة متوقعة لعرضه؟!.

لماذا يبدو دورنا وطرحنا ضعيفًا في لحظات التوقع أو المفاجأة غير الصعبة؟.

وثمة أمر مهم كذلك، ألا وهو روح المبادرة والاستعداد؛ لكسب الأجر، وزكاة الخبرة، ومهارة التخصص.

ومن صور الجاهزية أن يكون لدى ملقي الموضوع أو الدورة، أو المهمة التي هو فيها متخصص، أن يجمع ما أبدعه، واهتم به، كباقة مختارة، يختار منها الأنسب، كوضعه على جهاز اللابتوب، أو في (الفلاش).

ومن صور الجاهزية أن يستعد المرء في وقت المناسبات والجمعات والأحداث؛ التي يُطلب أن يبدي رأيه فيها، بالمناسب والمفيد والمتقن.

وصفة (الجاهزية) صفة عُمَرية، لأمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، علمنا إياها يوم السقيفة، عندما قال: «زوَّرتُ كلامًا في صدري»، وكانت كلماته هي الفيصل، وقت المحك!.

الموسيقى

أظـن أن موضـوع الموسيقـى أحد أهـم الموضوعات؛ التي يكثر حولها النقاش، في محيط الشباب المتدين، أو حتى المتابع للموضوع من غيرهم.

وأظـنُّ كذلـك أن هذا الاهتمـام - وأحيانًا كـثرة السؤال عنـه- لمـا للموسيقى مـن تأثيرات نفسيـة على الإنسـان، ولما لهـا من آثار طفت على السطح مـن سوء قيم، وشتات أخلاق، ولربما غفلة تَحرِم من القربات والنوافل.

والحقيقـة أن هذا الموضـوع كُتب عنه الكثـير، وأنا واحد ممـن كتب عنه، ودققت فيه النظر بعمق، وكتبت كتابًا جديدًا، عنوانـه (الفن المعاصر... صـوره، آثاره، أحكامـه)، وهو أول كتـاب في سلسلة الثقافة الحيوية، ويمكنني القول - بكل صدق وأمانـة-: إنني اطلعت بشكل مفصَّـل وهادئ على جل - إن لم يكن كل- ما كُتِـب من المتأخرين، في الجانب العلمي الشرعي، فضلًا عن المتقدمين.

ولعلي -بإذن الله- أخص المنتدى بإنزال الكتاب كاملًا، قبل طبعه؛ ليستفيد منه الإخوة والأخوات، أو على الأقل الفصل المتعلق بالموسيقى.

وهذا الموضوع لعل السبب الذي دفعني للكتابة فيه ما كثر السؤال عنه من الإخوة والأخوات المتابعين لبرامجي، وخاصة (مذكرات سائح)، وإن كان الأخ عبد الله الحمدان كفاني التوضيح، في بداية التعليقات على البرنامج، وموقفي من الشركة المنتجة، مما لا يحتاج إلى إعادته هنا.

ولأن رسائل (قلبي يحدثكم) لها طبيعة خاصة، وكتابة محدودة، فسألتزم المعايير نفسها، على أن يجد الراغب في التفصيل من ذكر التخريج والمصادر والمراجع والنصوص في كتابي ما يتمنى وزيادة، بإذن الله، وأخلص في هذا الموضوع إلى بعض النقاط المهمة والمختصرة الآتية:

١- ليس في كتاب الله تعالى نصٌّ صريح على تحريم الغناء، إنما ورد تفسير لبعض الصحابة على بعض الكلمات في القرآن، مثل (سامدون، لهو الحديث، واستفزز من استطعت منهم بصوتك)، بأنها الغناء المحرم، في حين فُسِّرت تلك الكلمات نفسها بمعانٍ أخرى!.

٢- ثبت في شأن تحريم المعازف ثمانية أحاديث صحيحة، وأقواها حديث البخاري: «ليكونن من أمتي أقوام

يستحلـون الحِـرَ (الزنـا) والحريـر والخمـر والمعـازف»، وأحاديث أخرى، والتحريم فيها واضح، والمبيحون للمعازف عللـوا الحديث بأن المقصود بـه ما كان مصاحبًا للحرام، ولا يستقيـم الأمر لهم بهذه العلـة، وفي كتابي التفصيل، والأحاديـث الأخرى بعضها صريـح، وبعضها غير صريح، وبعضهـا يقبل المناقشة في قبول الحديث، حكمًا وردًا، وفي تأويل المعنى عن ظاهره.

٣- لا يوجد قول واحد لصحابي بالإذن بالمعازف.

٤- لكل الفقهـاء الأربعة (أبو حنيفة، مالك، الشافعي، أحمد) نصوص منقولة عنهم، بالمنع والتحريم الصريح.

٥- بـدأ الخـلاف بعد القـرون المفضلة، وعند أتبـاع المذاهب، بشكل غـير موسَّع، وامتـد الخلاف في العصـر الحاضر بشكل أكبر.

٦- الضوابط التي ذكرها المبيحون: ألاَّ يكون الغناء المصحوب بالمعازف فيه كلام باطل، وألا يشغل عن واجب، أو يصحبه نظر أو فعل أو فكر محرم.

٧- لا يوجـد دليـل مـن المتقدمين علـى جواز سمـاع الرجال من النسـاء البالغـات، بل النص القـرآني صريح في المنع: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ (الأحـزاب: ٣٢)، والنصوص المنقولة عن السابقين بالتحقيق لا تثبت، فضلًا عن وجود نص شرعي.

٨- للإمـام ابـن تيميـة رأي في الفرق بين السمـاع والاستماع، (فالسمـاع) عنده ما كان عارضًـا، أو غير مقصود لذاته، كموسيقـى نشـرات الأخبـار، أو برامـج مهمـة خلفياتها موسيقيـة، لم تُسمَـع لذاتهـا، و(الاستماع) هـو المقصود للتلذذ والإمتاع، وهو المنهي عنه.

هـذه بعض الإشـارات المناسبة لواقـع رسالتنـا، ويبقى التأكيـد علـى أن إيجـاد البدائـل، مـن الإيقاعـات وأمثالها، المصنوعـة بطريقة محترفة، مطمئن للنفس، ومريح للضمير، وفي كثير من الموجود خير ونفع عظيم.

وعندي وقائع تثبتها الأيام رسوخًا أن:

حـبُّ الـقُـرَانِ وحـبُّ ألحـانِ الغِنا

في قـلـب عـبـدٍ لـيـس يـجـتـمـعـان

ودونكم تجارب حفاظ القـرآن، وشيوخ القراءة والإقراء، وواقع الشباب اليوم!.

نسـأل الله أن يحفظنـا وإياكـم، ويوفقنـا للخـير، واتباع مرضاته.

قلبي يحدثكم

الشفايف

هي أول معبر للزواج.. فلولاها لما قال العاشق: قبلت!.

هي أول ممر للمجهول... عندما يفتعل قبلته المجنونة!.

هي الساحرة، هي الآمرة، هي الناهية، هي النور والنار!.

سلوني، وسلوا كل مجرب في الحياة:

مـن لولاها بدأت رحلة الزواج بالهيـام أو انتهت بالطلاق والخصام؟.

مـن لولاها سُحِرَت القلـوب، وأُسْكِرَتْ النفوس، وأُدْمِعَتْ العيون؟!.

مـن لولاها التُقِطَتْ الصـور، ودُبِّجَـتْ القصائد الحالمة، وجلسات الشجن؟!.

من لولاها فُتِحَتْ مصانع الحلوى والأطايب والمكسَّرات؟!.

من لولاها تَرفع غير الوضيء، وتهوي بالعبوس الوضيء؟!.

إنها «الشفايف» ولا فخر!.

هي المنتج لأحلى وأشهى كلمة اجتمعت عليها البشرية!.

عندما أقول لك أحبك..

تتغير ملامح حروفي

وعندما أقول لك أحبك..

لا تمر الحروف على لساني..

فهي تخرج من قلبي لقلبك!.

عندما أقول لك أحبك..

يتكون لقلبي لسان

وتصبح نبضاته صوتاً!.

عندما أقول أحبك..

يصمت الكون.. احتراماً لصوت عشق..

فأنا أحبك بكل اللغات التي أعرفها..

وأدمنتك بكل اللغات التي لا أعرفها..

وما بين تلك وتلك..

صنعتك لغة بين (شفاهي) لا يفهمها إلا أنت!!.

هذه القطعة اللطيفة الرقيقة الحساسة اللينة العنيدة!.

هل تأذن لي بطلب؟.

مـدَّ أصابعك نحوهـا، تحسسهـا، مرر أناملـك الرشيقة الصغيرة عليها!!.

ياااه!.

هي هي لدى كل الناس. ولكنها ليست مع كل الناس!

هـي مـع كل النـاس مخلوقة بلا طلـب، ولكـن الناس بها متفاوتون!

هي مع أقـوام تتحرك بكل هدوء وعفوية، حيث الابتسامة الأخاذة، والتعبير البليغ عما في النفس.

هـي الحركة الوادعة الساحرة التي تليِّن القلوب القاسية، وتحرك مجرى الميـاة الراكدة، ولربما كانـت بعفويتها - وهي تدخـل إلى الفم وتخرج منه في لحظة محنـة أو قهر- أبلغ من ألف رسالة ورسالة.

وهي مع قوم صامتة أنانية كاذبة!.

ترى الرجل فتسحرك حياته وكلماته بحركة شفة!.

وتصدمك خسَّة آخر يصيد بها بالمكر والخديعة!.

إنها (الشفايف)..

يُطبِقها إنسان عاقل، فيؤثر الصمت وقت اللجج، ويمسكها فتتماسك، فيسلم في وقتها، ويغنم بقية عمره!.

ويتركها إنسان على جشعها؛ حيث السخرية والتعليق الساذج، والغيرة الحاقدة!.

يصيد بها الحنونُ القلوبَ الطيبة بأعذب الكلام، وأصدق المعاني.

ويصيد بها المغبونُ مآرب آنية، وبطاقات شكر جامدة!.

و(للشفايف) في العيد طعم خاص!.

حيث تمتص الحلوى والشيكولاته، وتنثر معها ألطف الكلمات، وأرق العبارات.

وأسلى الشفاه وأغلاها من طفل رقيق، وأم حنون، وزوج عفيفة.

وأعذب الشفاه وأحلاها، وألطفها وأندها، ما نطق بالذكر، وعبَّر بالصدق.

وأرخصُ الشفايف المستأجرةُ، التي فقدت أناقتها وخصوصيتها، وعفويتها وطهارتها!.

وكل عام وأنتم بخير.

١٤
قلبي يحدثكم

الهمّ

مهما اختلفت الألوان والأجناس والأعراق والبلدان، يبقى الناس هم الناس!.

ابحثـوا عن عوامل مشتركة في حيـاة الناس، وستجدونها بسهولـة، دون كبير عناء. ابحثوا عـن لغة الحب ستجدونها في الصـدارة، ابحثوا عن المشاركة في الأزمة النفسية، ابحثوا عن التقدير، ستجدون كل هذا وغيره من المشترك الإنساني.

ولـذا؛ فإن ثمَّة وعاظًا استطاعوا أن يصلوا - بفضل اللّه- للآلاف من الناس؛ لأنهم استطاعوا الولوج من هذا الباب.

وإننا لنعجب - إخـواني وأخواتي- ألاَّ نجد بعض العوامل المشتركة بين بعض الجمعيات الخيرية، أو المنتديات الطلابية، أو المواقـع الإلكترونيـة، وكأن القواسم الإنسانيـة، والأهداف الكلية، مختلفة!!.

إن أيام الحياة علمتني أن النجاح في الدعوة وكسب الناس هو في هذا السر العظيم؛ الذي جاء به الإسلام، ودعا إليه.

وهذا النداء ليس مجرد ادعاء، بل يجب أن يتحقق فعليًا.

لا بد أن نحول ممارساتنا التي ندَّعي فيها الحب للآخرين كما نحب لأنفسنا لواقع ملموس.

يجب أن نـدرِّب أنفسنا على النفع العـام، والمشاركة التي يقتضيها الحال والزمان لكل إنسان.

أظـنُّ أن خدمـة طـلاب العلـم والفقـراء واليتامـى والمستضعفـين، في فلسطـين، وفي غيرها، كلهـا قضايا توجب التذلـل لأصحابهـا، لا الرهـان علـى مسمـى القائمـين علـى خدمتهم بشكل خاص!.

كما أظن أن تعليم فنون الإلقاء، والتقديم الإعلامي، وأساليب التجارة، وأمثالها، أمور يحتاجها الجميع؛ للتطور في حياتهم.

ما أجمل أن يُنشئ الإنسـان علاقات مفتوحة منضبطة، وأن يعيشـ بحياة متفتحـة متفائلة، وأن يغنم المشـترك الإنساني للبر والفضيلة والنجاح، وما أجمل أن يجعل فكره وخبرته وقفًا للناس!.

نعم، قد نختلف في الأفكار والأطروحات، بل حتى في بعض القناعات، لكن الهم العام لا يختلف عليه راغب في الخير!.

نصـحـتُ ونـحـن مختـلفـون دارًا
ولـكـنْ كُـلـنـا في الـهـمِّ شَـرقُ
ويـجـمـعـنـا إذا اخـتـلـفـت بـلادٌ
بـيـانٌ غـيـرُ مُخـتـلـفٍ ونُـطْـقُ

الشات

لأول مرة في حياتي أحارُ في موضوع شبابي!.

فأنا - والحمد لله- على خبرة بواقع الشباب، منذ عقدين من الزمان، وكتبت عدة كتب عنهم، وفتحت مجلة شبابية (الفتيان) قبل عشر سنين، من عمر هذه الرسالة!، ومع ذلك أجد نفسي حائرًا اليوم أمام هذا الموضوع، والسبب ليس في صعوبة معرفته أو ممارسته!، بل السبب في تطور أحداثه، خاصة أنه موضوع جديد نوعًا ما.

و(الشات) يعتمد على طريقة الدردشة أو (الفضفضة) غالبًا، إن لم يكن كليًّا، إذا تحدثنا بلغة الشباب وواقعهم.

وهو في فكرته جميل ولطيف، ويُعتبَر أحد أهم الوسائل المختصرة في لغة التفاهم والتعاون، على جميع الأصعدة.

وهو - فوق هذا- يفسح للنفس آفاقًا واسعة للخيال الخصب، والتعبير الصادق؛ الذي يمليه الضمير، لا ذاك التعبير المقرر في المدارس!.

ولسهولة التعامل معه، قرَّب البعيد، وسهَّل السبيل للمرغوب فيه والممنوع.

والحديث عن تطور الخطاب في (الشات) صار موضة قديمة، لا يسأل عنها الشباب غالبًا، طالما لا تتعارض مع ميولهم وأَذْوَاقهم، واهتماماتهم وقيمهم.

إلا أنه – وللأسف- استجدَّ أمر في (الشات)، خرج عن حدود اللياقة، والأعراف، فضلًا عن القيم الإسلامية.

ودعوني أركّز على أمر مهم، أبدأ قبل ذكره بالتأكيد على أن لغة (الشات) من طبيعتها السهولة والخفة والتجديد، وبعض الخصوصية، والتخفيف عن النفس، وإذا أدركنا هذا الأمر فلنتجه للقضية التي تجعلنا بحاجة إلى استعادة فهمنا للقيم، وكيفية تطبيق مضامينها، وهي:

(الشات) بين الشباب والبنات:

إن النفس السوية غالبًا ما تراعي المداخل الشيطانية، وتضع الأطر الصحيحة؛ التي تجعل صاحبها غير متناقض في الحياة، أو مختبئًا وراء الجدران!.

والحوار في (الشات) بين الشباب والبنات في قضية مفتوحة عامة، يطلع عليها الجميع، وفي حدود الأدب وأخلاق الكتابة، أمر مستساغ، ولربما يكون محمودًا في الموضوعات

التـي تهمهـم، وخاصة الحديثـة منها، وبالأخص مـع إمكانية وجود الأسماء غير الحقيقية.

أما (الشات) بين الشباب والبنات، أو بين الشاب والبنت، وإن كانـا طيبين أو متدينـين، أو محافظـين، أو...، كالحديث عـن الهموم الدراسية بين الطرفين، أو بعض المشكلات المؤرقة لأحدهمـا، أو الحوار في قضايا تطويريـة مشتركة لهما، فإني وجـدت من خلال التتبـع والجلسات الخاصة مـع الكثير، أنها بالتحليـل منذ بداية الحديـث إلى نهايته لا تخلو من مداعبات لطيفـة، وأسئلـة رشيقـة، عـن الصحة وحـال الأمـس واليوم وبرنامج الغد، وأحيانًا ما يُصاب به أحدهما من هَمٍّ أو مرض، يـؤدي غالبًـا إلى الانشغال بـه، والسؤال عنـه، والمعاهدة على الطمأنة عن الأحوال!!.

إن هـذه الأساليب تفتح بابًا لا مبرر له، من الصداقة غير السليمة، تحت غطاء العلاقة في العمل أو المشروع أو الفكرة!!.

وقطعًا أنا لا أتحدث عن الموضوعات التي خرجت عن هذه الأطـر، وصارت - وللأسف- سمـيرة الأيام والليالي، ورسائل الجوال الخاصة!!!.

إن صاحـب المـروءة يرحـم نفسـه ومـا حولـه، وكون كلا الطرفـين راضيين بنوعية العلاقة؛ التي لم تخرج في تقديرهما

إلى كلام سيئ، أو طلب مخل، مع وجود برنامج مشترك بينهما، لا يعني التبرير لهذه التصرفات؛ التي تشغل الفكر والعقل.

وأحيانًا أتساءل في نفسي: ما الفرق بين الحديث عبر الهاتف والحديث عبر الشات، إذا كان الكلام قد بدأ بالصحة والحال، وأخبار الأهل والأقارب، وما حصل في الدراسة ومع الأصدقاء، وما انتاب الطرفين من هموم اليوم وأشغاله،...؟!.

ثم أتساءل ببراءة: لو أن هذا الشاب رأى أخته تتصرف بمثل هذه الطريقة مع صاحبه، أو أي شاب آخر، ما الذي سيجري؟!.

إن التجارب التي أعرفها تجعلني أعيش حائرًا من كيفية هبوط الوعي لدينا.

إن (الشات) بين الشاب والبنت، يصعب ضبطه أو تحديد أطره، وسبب الصعوبة أنه الحديث بين البنت والشاب!!.

ومرَّة أخرى أؤكد: أن الحديث بين الطرفين - الشاب والبنت- عبر (الشات) في موضوع مفتوح، يطلع عليه الجميع، بضوابط الكلمة الطيبة، وفي الموضوع المناسب، له مبرره، بل مطلبه الملح أحيانًا.

ويكون الحديث بينهما منطقيًا، وإن تخلله لفظ عفوي لطيف عابر متوقع، في موضوع محدد، وبين الطرفين خيط

واضح، وموضوع مشترك، لا يخفى على القريب أو البعيد.

وحتى ألخص الموضوع الواسع الذي حيرني في سطر أقول:

يوم يَحرص كل من الطرفين على إخفاء ولو كلمة واحدة من المكتوب في الشات - فضلًا عن المُرسَل عبر الإيميل أو رسائل الجوال- عن أي أحد، فحينها القلب يكتب لا العقل!!!.

١٦

قلبي يحدثكم

القنوات

قبـل خمس وعشريـن عامًا كنت في سنـوات الدراسة أتابع برنامجًـا كرتونيًّا، اسمه (توم آنـد سوير)!، والحقيقة أن قصة هذا الفيلـم الكرتوني استهوتني؛ لأنها كانت تتحدث عن طلاب يخرجون من المدرسة، ليقوموا بمغامرات على مستوى براءتهم!.

وبينمـا كنت أتحدث مع زوجتـي (أم حمزة) عن ذكريات الطفولة ذكرت لها هذا الفيلم الكرتوني، ففتحت (اليوتيوب)، وبحثت عنه، وأرتني مالم أكن أحلم بوجوده!!.

وجيـل الشباب - اليوم- لم يعد يقاسي لذة المتعة للبرامج الكرتونيـة، أو حتـى المسلسـلات والأفـلام، فهـي متوافرة في سيديهـات وديفيديهات، فضلًا عن القنوات المتخصصة؛ التي تسترجع عبق الماضي بكل ما فيه!.

والقنـوات الفضائيـة - اليـوم- ثـورة في حيـاة النـاس غـير مسبوقة، بل انقلاب (١٨٠) درجة، في تصورات الناس للحياة، ولا أبالغ إن قلت: إنها المصدر المزعج للحكومات والمجتمعات والأفراد!.

وأنـا مؤمن أن القنـوات الفضائية - علـى تنوعها- تُعتبَر مصـدرًا جديـدًا لنشـر الثقافة العامـة، وبعض المتخصصة أحيانًا، ولكنها لا يمكن أن تعطي الصورة الشاملة - فضلًا عن المركَّـزة الكاملـة- لأي قضية كبيرة ومهمـة، والسبب في ذلك أن كل القنـوات مسيَّسة، أو داخل إطـار التحيُّز، كما كان يعبر الأستاذ المسيري (رحمه الله).

القنـوات الفضائيـة لا تبنـي قواعـد أو أصـول أو مناهج الثقافة، لكنها تشكل ثقافة فكرة، أو نمط حياة، أو دافعية نحو قضية ما، وهي - ولا شك- أحد أكبر عوامل التغيير والنقلات في فكر الفرد والمجتمع والدول.

وفي ظـل تجدد القنوات؛ التي امتـدت لتخاطب كل شيء، حتى رأيت عـن الحيوانات وحدها عشر قنـوات متخصصة!، يبرز سؤال مهم:

ما موقفنا حيال هذه القنوات؟.

أظنُّ أن هناك إجابة واضحة عند كل العقلاء، وهي قبول القنوات الهادفة، والجادة والمفيدة.

إلا أن هنـاك جوابًا حائـرًا يتلجلج في نفوس البعض من المتدينـين، حيـال الأفـلام والمسلسـلات وبرامـج (الأكشن)؛ التي فُتِحت على مصراعيهـا، ويجدون فيها تسلية وغاية أكبر

مـن مجرد النظر، وهـي إشباع رغباتهـم في رؤية الجديد من الانبهار، ومعالجة القضايا التي يهمهم متابعتها.

وربما تطور الوضع ليصبح النظر إلى هذه الأفلام والمسلسلات جـزءًا من اهتمـام بعض الشبـاب المتدين، وحديثه عـبر الشات، بحجة تلقي الخبرة والتجربة، أو أنها من ضمن اهتماماته.

والمشكلة الكبرى عند كثير من هؤلاء الشباب أنهم خلطوا بين الاهتمام والممارسة!!.

فلـو سألـت بعضهـم عـن سبب متابعتـه لبعض الأفلام والمسلسـلات التي لا تخلو مـن سوءات، والتـي تجدها مقدمة في برمجـة القنوات التي يتابعهـا، وعلى سطح مكتب كمبيوتره الخاص، لقال: أنا مهتم بالإعلام، أو هوايتي الإعلام، ولربما قال أو قالوا: نريد أن نستفيد منها في خدمة الإعلام الهادف!!.

وهـؤلاء عاشـوا ويعيشـون سنـين عمرهم بـين الاهتمام والهوايـة، ونسـوا أن كل المتابعـين مهتمون، وصـارت عندهم المتابعة هواية!!.

بينمـا الممارسـة هـي للإنسان الـذي دخـل في الصنعة، وصارت مشاهدته محدودة لما يعينه في نجاح مهمته.

وأنـا شخصيًا أعرف أحـد أكبر ملاك القنـوات العربية يشاهـد أفلامًـا غربية يذكـر: أنها لا تقدم لـه شيئًا في مجال

العمل الإعلامي؛ الذي نجح فيه أمام المشاهدين، وعبرَّ عن رؤيته لها بقوله: مجرد هواية منذ الصغر!.

إن كثيرًا من الشباب - وللأسف- فقد البركة في حياته، حيث كان يظن أن هذه الأفلام العظيمة والمبهرة تشكل جزءًا من شخصيته القيادية، ونظرته التطويرية للحياة، ونسي أن البركة المقرونة بتوفيق الله لا يؤتاها عاصٍ!.

إن تبسيط النظر للسوءات بحجة المصالح الأعلى في الأفلام والمسلسلات، ليس مكرمة، ولا بناءً للرجولة، ولا فسحًا لباب الحاجة والضرورة!.

إنني قد أعتقد بوجود أفلام مهمة ومؤثرة - في النظرات والتصورات والخطوات- قد تدعو الحاجة لرؤيتها، مع بعض الخلل اليسير، أو للخبير الإعلامي، لكن الواقع المشاهَد المحزن لا يدل على الورع والعفة عند النظرة الثانية بعد الفجائية؛ التي منعها النبي ﷺ على عليٍّ رضي الله عنه وهو في سنِّ الشباب، فكيف بغير الفجائية؟!.

إنَّ بناء الشباب القادة لا يمر بطريق الغرب، بسوءاته وعوراته!!.

١٧
قلبي يحدثكم

جرِّبها

كثيرًا ما يوقفني الدعاء الرباني (اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان).

وأخذت أتخيل لو أن طالبًا يقول: يا رب حبب إليَّ المادة، يا ربِّ نجحني، يا ربِّ سهل عليَّ الاختبار، ولكنه مع كل هذه الأدعية لم يدخل مدرسة، ولم يقبل فتح الكتاب!!.

ودعونا نعُد للدعاء (وكرِّه إلينا الفسوق).

كثير من الشباب والبنات يخافون من أثر المعصية، وذل المعصية، وفضيحة المعصية، والكثير مَن يندم بعد ورطات أو مشكلات، أو ما يعتريه من أحوال نفسية، ووضعية غير سارة، ويدعو ويدعو: يا ربِّ كرِّه إليَّ الفسوق والعصيان، وكل الأسباب والخطوات التي تؤدي به إلى الوقوع في الفسوق والعصيان قائمة بين يديه، بل يذهب إليها خطوة بخطوة، كالسابق، دونما أي تغيير أو معاناة!.

إن مفهوم كره المعصية الذي يدعو به صاحبه يعني:

١- كره كل وسيلة تؤدي إلى المعصية.

٢- كره كل حالة وموقف قبل وحال وبعد المعصية.

٣- كره أن يبقى حبيس العبودية للشهوة.

وهـذه الثالثة تعني الصبر على مـرارة كل ما يجعله يكره نفسه، ليتخلص مما هو فيه.

إن الإيمان في القلب يُبنى كما يبنى البيت، فكل حجر يُبنى يعني إيمانًا يقوى، وطالما صبر الإنسان على كره المعصية وأزِّها وزخرفتهـا بنى طوبًا جديدًا، وبعد جدٍّ ومصابرة يقوى البناء، ويصعـب هدمه بالمعول، لكـنَّ الإنسان لو بدأ البناء بشكل جيد في البدايـة ثم توقف سهل الاختراق والسقـوط؛ بسبب عوامل التعرية!.

وكل جرائـم الفسـوق (الفواحش، الأفـلام الإباحيـة، العلاقات المشبوهة، التدخين، السرقة، المخادعة، المكر،....)، يوقفهـا بناء الإيمـان، ولن يكون من السهـل العودة والاختراق للحال القديم.

ونظرة واحدة فقط على أناس عشعشت كل أنواع المعصية في حياتهـم وتغلغلت، ثم قرروا أن يقاوموا كل عوامل السيطرة عليهـم، وجدناهم بعد ذلك يتحدثون عما مضى، وكأن الثياب لم تتسخ، وكأن النفس لم تضطرب؛ لأن الإيمان زان في قلوبهم!.

المفخرة

كلما طافت بي الذكريات والخيالات في بلاد العالم الواسعة، في زياراتي وجولاتي المتعددة، وما أشاهده فيها من مضامين الحضارة، وأساليب العيش، أيقنت أن هذا الوجود لا مكان فيه للمصادفة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

وعلى قدر ما أرى قدرة الإنسان على التحرك والإبداع، والاستعداد الضخم للإبهار ونشر الفتن، على قدر ما أطمئن أن هذا الكائن البشري - بقدرته وطاقته- لا يستطيع تغيير ناموس الكون، أو كشط حركة فيه بجرة قلم!.

إنه الإنسان بدهائه ومكره وجبروته؛ الذي أحال الجبال الصماء إلى مرتع خصيب، والذي جعل عالم السماء سابحات لالتقاط الأخبار، ونشر الرذيلة!.

إنه الإنسان الذي أفسد الأرض، وأسِنت الحياة بسببه، وتعفنت الأعمال من ورائه، وذاقت البشرية الويلات من كل أفكاره المُنشأة والمستوردة، حتى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

وفي ظل هذا الانحراف يظهر الجيل المسلم؛ ليسْهِم بيد نظيفة، وقلب حي، وضمير متحرك، ويتجلى خُلقه، ويرفرف بشعوره، ويتعالى باهتمامه، ويستقيم في سلوكه، ليغير خلقًا وأناسيَّ كثيرًا!.

إنه الإنسان في الصورة الثانية؛ الذي استمد قوته من الإيمان، فانطلق بإرادته، وعمل بمقتضى رسالته، وقاده صلاحه ونشاطه ليترك الآثار الإيجابية في الحياة.

هذه الصورة نشاهدها اليوم في الجامعات والمدارس والمؤسسات والإعلام.

إنهم الجيل المؤمن الدؤوب المثابر؛ الذي يحمل المفخرة، إنها (الهداية... والدعوة إليها).

وهذا الجيل المؤمن وهو يطور من أفكاره، ويجدد في أعماله، ويترقى في تصوراته، فإنما يعمل في محيطه المسخر له، بفطرة المؤمن، وهدوء المؤمن، وسعي المؤمن.

إنه الإنسان البصير الواثق من الغاية المرسومة؛ الذي يحمل (قوة الصبر) كما تقول (إم جين رايان)، و(المفخرة الإيمانية) التي ننشدها: أن يتصل الشاب والشابة في طريق الدعوة بالمنهج الرباني؛ الذي عبر عنه الأستاذ سيد قطب، بقوله: (فأما الإسلام فيسير هينًا لينًا مع الفطرة، بدفعها

مـن هنا، وبردعهـا من هنـاك، ويقوِّمها حين تميـل، ولكنه لا يكسرهـا، ولا يحطمها، إنه يصبر عليها صبر العارف البصير الواثق من الغايـة المرسومة.. والذي لا يتم في هذه الجولة يتم في الجولة الثانية أو الثالثة أو العاشرة أو المئة أو الألف..

فالزمـن ممتـد، والغايـة واضحة، والطريـق إلى الهدف الكبير طويل، وكما تنبت الشجرة الباسقة، وتضرب بجذورها في التربـة، وتتطـاول فروعهـا، وتتشابـك... كذلـك ينبـت الإسـلام، ويمتد في بطء، وعلى هينـة، وفي طمأنينة. ثم يكون ما يريده الله أن يكون.. والزراعة قد تُسْفي عليها الرمال، وقد يأكل بعضَها الدود، ويحرقهـا الظمأ، وقد يغرقها الري، ولكن الـزارع البصير يعلم أنها زرعة للبقـاء والنماء، وأنها ستغالب الآفـات كلهـا على المـدى الطويل، فـلا يعتسـف، ولا يقلق، ولا يحاول إنضاجها بغير وسائل الفطرة الهادئة المتزنة، السمحة الـودود.. إنه المنهج الإلهي في الوجود كله ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح: ٢٣).

المُجرَّب

كانوا قديمًا يقولون: من جرَّب المجرَّب فعقله مخرَّب!.

ولعل هذه الكلمات أن تكون كورقة الاستكشاف؛ التي يُعِدها الخبراء والمحللون؛ للكشف عن صفات محددة، في الشخصية المختبَرة!.

هناك أناس جرَّبوا التأخر عن المواعيد، ففاتت عليهم اختبارات، وطارت عنهم طائرات، وساءت علاقات، ونشبت مشكلات!.

وهناك أناس جرَّبوا دخول الأسواق، والنوادي الصحية، والمواقع العالمية، وفي كل مرة تُسقطه صورة، وتقوده من فرجه عاهرة؛ لتودعه صريع الهوى، سكران النفس، كئيب المحيَّا!.

وهناك أناس يقصّون القصص الدرامية، ويتلاعبون بألفاظ وهمية، وينسجون خيوطًا خادعة، فيشكون في أنفسهم بعد كل مكر؛ خشية عدم حبك الدور الذي مثلوه!.

وهناك أناس مدّوا ألسنتهم، وطاشوا بجوارحهم، فطال ندمهم، وسقطت دموعهم لكل من هجروهم، أو توترت العلاقة معهم!.

وهناك أناس استدانوا لكل شيء، وطال سجل مطالباتهم، ولكـن الهوى يُعمـي ويُصم، فهانت عليهـم أنفسهم، حتى هان عند الناس الوقوع في أعراضهم!.

ليسـ الغبي هو الذي تمر الأحاجـي والألاعيب عليه، إنما الغبـي الـذي يتغابى علـى نفسه وقلبـه، حتى إذا فعـل فعلته، انقلبت عليه نفسه، وقسا قلبه!!.

قلبي يحدثكم

البنات

في نفسي سر سأبيح لنفسي أن أصارحكم به!.

إن كلماتي عن البنات عمومًا، ومخاطبتهن بشكل مباشر، شبه محدودة في حياتي!.

فأنا في العائلة لا أعرف سوى أخت واحدة تكبرني سنًا، ولها - بحمد الله- عدد من الأبناء، أحدهم في الجامعة.

ولذا فأنا بعيد منذ فترة مبكرة عن عالم البنات، وهمومهن وشؤونهن، بشكل مباشر، وخاصة في المجال الدعوي والاجتماعي، إلا ما أقرأ، وما أسمع!.

بل حتى في الحياة الخاصة أنا لم أتزوج إلا بعد (الَّتي واللَّتيا)، ومن الطُرَف أنه كانت تُطلب مني طلبات في بدء الحياة الزوجية لا أعرف معناها، ولأول مرة أسمع بها في حياتي، مثل (شبَّاصة)!.

هذا مثال، وهناك عشرات الأمثلة التي تُطوى ولا تُروى!.

ولكـنَّ الأقدار ساقتني - بطبيعة الحال- للسماع في الآونة الأخـيرة بشـكل مباشر، من عدد مـن البنات، عـن همومهن واهتماماتهنَّ المعاصرة لا المألوفة!.

ومـا يعنينـي في هـذا الموضع ليـس ما تمر بـه البنت من تقلبـات، ومـا ينشأ عن طبيعتهـا من تصرفـات!، وإنما أعني معرفة قدر البنات ودورهن المعاصر في الحياة.

البنات.. الكلمة الأولى في التربية، البنات.. الطلقة الأولى للدفع في ميدان الحركة، البنات.. الموجة الأولى التي تحرك أو تسكِّن ما أمامها!.

لا أريـد بطبيعة الحـال أن أتحدث عنهـن، أو أدعي أنني سأنشئ لهن موقعًا في قلبي، فيكفيني بحمد الله ما يكفيني!.

ولكني أريد أن أتنفس اليوم تنفسًا صحيًّا خاليًا من أي توتر!.

البنات.. هنَّ اللَّبنات!.

البنات – اليوم- لديهنَّ القدرة أن يدفعن بحركة المجتمع نحـو محطة النهضة؛ التي نسعى جميعًا – كمسلمين- للوصول إليها.

البنـات.. قادرات علـى إنشـاء مشاريع ناجحـة، وتفعيل برامج متميزة.

البنـات - اليوم- يملكن ثروة مـن الطاقة العاطفية؛ التي يمكـن تحويلهـا في الدعوة والتربيـة والفن، بعاطفـة المسلمة، وروح المسلمة، ورسالة المسلمة.

البنـات - اليوم- كنـز أفكار، ومنجـم عواطف، ومصدر همة، وموقظات شعب!.

يا أخواتي الشابات..

هـلاَّ جلستن مع بعضكن لتتكاتفـن، وتتعاونَّ، وتُسهمن في مشاريع التربية الخاصة، والنهضة العامة.

هلاَّ سمحتنَّ لأنفسكن بالتتلمذ على رائدات الفكر والدعوة والعلم في الأمة؛ ليسعى النور بين أيديكن.

كم أحلم كلمـا أسمع كلمة: بنات الجامعـة، بنات الكلية، بنات النادي، بنات (القروب)، بنات.. بنات..، أن يكون (لفور بنـات) بصمة، ولـكل البنـات العاملات الفاضـلات - بشتى أسمائهن- دور في استثمار عطائهن!.

أيـن المبدعـات منكـن؟، أيـن الرائـدات منكـنَّ؟، أيـن المتميزات منكن؟.

استثمـرن شجون البنـات، وخاطبوهن بلغـة القلوب التي تملكونهـا، ودربن أنفسكن علـى العمل المرتـب والمنهج، فإن الدعوة والتوجيه والتربية في صفوف البنات ألين، وأقرب للبِّر!.

الرومانسية

اتصلت بي – قبل ليلة– فتاة مسكونة بالحب المتدفق، والمشاعر المتوقدة؛ التي أدت بها إلى حد الوله تجاه مُدرِّستها!.

سألتها: ما وجه هذا الشعور؟.

قالت: سنها المناسب، ورشاقتها، وإن شئت فقل: رومانسيتها.

ثم سألتها: هل هذه المدرسة أم؟.

قالت: في طريقها لعش الزوجية!.

عندما ننظر إلى الحياة الفسيحة المملوءة بكل ما ينبض بالحياة، ونحصرها في شخص أو حيٍّ أو مدرسة أو كتاب أو موقف أو لحظة، نكون قد اختزلنا الدين والدنيا!.

اختزلنا الدين؛ لأنه فسح لنا المجال أن نعيش بكل حب، مع هذا الكون الفسيح الجميل.

واختزلنا الدنيا؛ لأننا قصرناها في موقف أو لحظة أو شخص أو.. والدنيا أوسع من هذا!.

الرومانسية - يا أحبتي- ليست أن يتجمل أحدنا بأجمل الملابس المطرزة، ومن أفخر المحلات المشتهرة، أو أن يلبس الساعات السويسرية، أو أن يتعطر برشات (الكولونيا) الفرنسية، وأن يركب السيارة ذات الأرقام العشرية!.

أو أن نظن أن الرومانسية أن نأكل بملعقة وشوكة، وأن نتناول الحلويات في المطاعم الشهيرة، وأن نحمل (الجهاز المحمول) لنقابل أصدقاءنا في (الكافية)!، كل من ظنَّ أن هذه هي الرومانسية والمشاعر التي تولّد الحب - من الآخرين وإليهم- فهو واهم.

(الرومانسية) مصطلح عصري فضفاض، يلعب به الإنسان يمينًا ويسارًا، بالحلال وبالحرام، بالخطأ وبالصواب، بالبذخ والإسراف، المهم فيها أن تتأجج المشاعر، وتتحدث الأيام!.

بينما نحن - المسلمين- يقودنا (الحب)، الحب الفطري؛ الذي أمال الزهرة على الزهرة، والعصفور على العصفور!.

الحب في الله؛ الذي لا يلتفت إلى لون أو جنسية أو هيئة.

الحب الذي يولده الحب الصادق، النابع من القلب، المشرق بروح شفيفة.

الحب الذي يجعلك تخجل وتحن، ويجعلك صامدًا عصاميًّا في الوقت نفسه.

أعود للأخت المتصلة التي قلت لها: أختي، إن هذه المشاعر الصاخبة ستنتهي؛ لأن جذورها غير راسخة، ولو طالت سنينًا عجافًا!.

وكم - والله- ترى أناسًا لا تميزهم بشكل ولا هيئة ولا منصب ولا جاه، ولا تستوقفك مركوباتهم وأعمالهم، كبرت أو صغرت، لكنك تتحدث عنهم بحب وصدق وموضوعية، وتُعجَب بهم عن قناعة.

وختامًا: قد علمتني الأيام: أن هناك إعجابًا تمر عليه، وأن هناك إعجابًا تُقاد إليه!.

المرحلة

سألنـي أحدهـم يومًـا عـن بعض مشاريعـي وأعمالي، وطروحاتـي وأفكاري، فقلت له: أنـا كأي واحد من البشر، أمر بمتغـيرات، وأراجع الحسابـات، وتتجدد في نفسـي الأمنيات، وأعيش بعض التطورات، وأعيد النظر في بعض التصرفات!.

أنا - باختصار- أعيد دائمًا النظر في اللاشعور كما يقول د. الوردي، أي أفكِّر في السلوك الباطن، كما أفكر في المستقبل الخفي!.

إنـه من الطبيعي جدًا أن يمـر كل واحد منا بنقلات، على مختلـف المستويـات، الفكرية، الروحيـة، العلميـة، السلوكية، الاجتماعية،....

وأنا شخصيًّا أعرف عشرات المغمورين صاروا - في سنين معدودة ومتقاربة- من المشهورين.

وأعـرف أناسًا كان يُشار إليهم بالبنان بشكل عفوي، وهم اليوم ممن يُنتظر رأيهم في الملمات.

الساحة كما يقولون (حُبلى) بالجديد!.

كمـا أن الساحة تقبل الانتقال المرحلـي لكل البشر، سواء على ظهر حمار أم على متن صاروخ!.

إنه بالتتبع والاستقـراء لوقائع التاريخ، وبالنظر التحليلي العملي للواقع، يلحظ المنصف والمتجرد أنه (فقه المرحلية) أحد أهم أعمدة القوة والانتصار والبقاء، للأفراد والمجتمعات!.

لو قيل لي باختصار: ما أهم ما يحتاجه الشباب اليوم من فهم ووعي، يمكـن أن يكسبهم النجاح والتطور والعمق، لقلت: تعلم (فقه المرحلية).

هـذا الفقـه الـذي يعتمد علـى فهـم السلـوك الإنساني، والاستقـراء التاريخي، والارتواء الثقـافي، والانتقال الميداني، والتخطيط الإداري، والهدوء النفسي، والصلاح الداخلي.

إننا ومن خلال المتابعة لما يجري في الساحة الإعلامية، وما نشاهده من تغيرات في حياة الناس، نجد أن البعض يمر بمرحلة تغـيّر طبيعـي ومنطقـي، وتطور إيجابـي، في حين نجـد آخرين يمرون بمراحل تحول وتغير (١٨٠) درجة، وانقلاب كلي!.

ولـذا تجـد كلماتهـم وآراءهـم ومقالاتهـم واهتماماتهم وأحكامهـم نابعـة مـن جـذر التغـير والانقـلاب، النفسـي والاجتماعي والفكري؛ الذي وصلوا إليه!.

ولا غـرو أن الانفتاح الثقافي - في شتـى صوره- أحد أهم هذه الأسباب. ولكن الواعي لا ينخرّ بالتحولات التي تفسده!.

ونستطيـع أن نخلص إلى جملة مفيـدة، حول نقطة (فقه المرحلة):

إن استيعـاب الإنسـان لنفسـه، والقدرة علـى التحكم في ذاتـه، والتطـور في كسـب مهاراته، والتـزود الجيـد لمعارفه، والصـدق في مشاعره، والتوسع المدروس لعلاقاته، والتمسك الواعـي بدينه، وتلقي المنهجية السلمية في عمق فكره، كل ذلك يصب في انتقالـه المطلوب نحو مراحل جديدة وبناءة، ملائمة لروح الدين، ومواكبة لفقه العصر!.

ومـن حكم الزمان التـي علمتني: أن مـن علامات توفيق الله لعبـده أن يُفسِـح له مجال خدمة عبـاده؛ ليسخرهم له في خدمتـه، وأن من أجلِّ ما يخدمونه بـه انتقاله المرحلي في رقي وعيه، وكسب عمره!.

الجوال (١-٣)

أحيانًا يصيبني شعور غامر بالفرح، ولكنه لا يتركني فرحًا إلا بدمعات!.

قد يدمع الإنسان من رؤية اليتيم، أو من منظر محزن، أو...، ولكني أحيانًا أدمع كلما أرى نعمة الله في المسخَّرات، ومنها (الجوال)!.

الجوال اليوم قرَّب البعيد، ويسَّر الصعب، وجمَّع المتفرق، وحلَّ كثيرًا من المعضلات، وقد يُحرج ويُزعج عندما يُطفأ في لحظات حرجة!.

وأتذكر قبل عصر الجوال أنني كنت أنتظر بعض الأصدقاء، في جامعة البترول والمعادن بالشرقية، يتصلون بي في ساعة محددة (الثانية ظهر الأربعاء).

وأحيانًا يتأخرون نصف ساعة، فأنا أنتظر وهم ينتظرون!.

والسبب في ذلك الوقوف في الطابور على كابينة الهاتف التي تبتلع الهللات!.

أعود إلى الجوال..

الجوال - اليوم- بتقنياتـه الحديثة نعمة تستحق الشكر، وتستوجب من العقلاء الاستفادة القصوى منه.

يمكن للفرد منا أن يجمع فيه الكتب، والبحوث، والمصادر، هذا من ناحية المقروء.

كما يمكـن أن يجمع فيـه المنظور من مقاطـع تلفزيونية، ومشاهد حيوية.

وفيه أيضًا المسموع مـن تلاوات القراء للمصحف كاملًا، إضافة إلى عدد لا ينتهي من الأناشيد والمحاضرات والدروس.

بل فيه اليوم البث الحي، والتفاعل المباشر مع العالم، عبر قاراته وقنواته المتعددة.

إضافة إلى تلقي كل جديـد ومفيد، عبر الوسائل النصية والصوتية.

هـذا كلـه عـدا تقنيـات تنظيـم المواعيـد، والتذكـير، والتسلية،.....!.

إننـي أعتقد أننا بحاجة ماسة وكبـيرة وملحة لتفعيل دور الجوال، بشكل حيوي ونافع.

أستطيع بالجوال أن أراجع محفوظاتي الشعرية، وأطيل النظر في الكتب التراثية والفكرية، وأبحث في المصادر والوثائق العلمية.

أستطيع أن أقرأ وردي، وأتمم حفظي ومراجعتي للقرآن.

أستطيع أن آنس بالأناشيد الجميلة، المسموحة وغير المسموحة.

أستطيع أن أصور أجمل اللقطات، وأسجل اللقاءات، وأخزن الوقائع والأحداث لحظة وقوعها!.

أستطيع، وأستطيع، وأستطيع.

باختصار: نحن بحاجة إلى مزيد وقت للاستفادة القصوى، والاستثمار الأمثل، من تقنيات الجوال المذهلة والمتطورة والفائقة الجودة؛ التي تعود علينا بالنفع، في الدنيا والآخرة، وأتوقع أنه بهذه الاستفادة يمكن للمرء أن تحدث له نقلة شعورية وفكرية ومنهجية، في وقت قصير!.

ألا قد بلغت، اللهم فاشهد.

الخيارات

أحيانًا ننظر إلى الأشياء من حولنا فنراها تسير بخطًى سهلة، وإستراتيجيات واضحة، كما أننا نلحظ مشاريع ناجحة، ومبادرات موفقة، ونُمعِن بعض النظر فيها فنجد أنها تمضي في مسارات بسيطة، وبقرارات جريئة!.

ثم نبدأ بعد هذا النظر والتأمل بأداء بعض المشاريع، وتحويل بعض الأفكار إلى واقع!.

وأكبر المشكلة أن الإنسان حينما يبادر في تطبيق هذه الأفكار المطبوخة في الذهن، المتشكلة في خلايا الذاكرة، نجد الرهق الشديد، والهم الكبير، وربما الإحباط؛ الذي يلازم صاحب هذه الأفكار!.

أي إننا -باختصار- نظن أن هذه الأفكار العملية؛ التي نشاهدها من حولنا وقد بلغت الذروة في النجاح، يمكن أن نطبقها بحدود تفكيرنا ونظرنا، دون معرفة أسرار نجاحها!.

وإذا أردنا أن نمثل بشكل أعمق، وبتحليل أدق، عن واقع هؤلاء؛ الذين كثرت ضحاياهم بسبب هذه العجلة في التفكير، فدوننا هذه الشواهد:

- يفكر أحدهم في تأليف كتاب مثلًا، فتجده بعد تأليف كتاب أو كتابين، يقرر فتح دار نشر؛ نتيجة المشكلات التي واجهها من الدار، أو بعض الدور؛ التي تعامل معها، في حين نسي أن فتح دار جديدة تعني التمويل الكبير على الإدارة والمتابعة والتوزيع، وربما سرقَ الوقت منه ما سرق، على حساب إتقان العمل، وإخراج المادة بأجود صورة!.

- وتجد آخر مثلًا يريد أن يقدم برنامجًا تلفزيونيًّا، فتجده بعد المعاناة مع قناة أو قناتين، أو شركة أو شركتين، يفكر أن يكون منتجًا منفذًا، فيقرر إنشاء مؤسسة إنتاج حتى يريح حاله، وينسى أن هذه الشركة أو المؤسسة بحاجه إلى تمويل ومعدات وموظفين محترفين و....

- ويقرر ثالث، بعد أن وجد أن مقالاته المكتوبة لم تنل حظها من النشر والعناية، فيبادر بفتح موقع جماهيري؛ عسى أن يكون على درجة كبيرة من التفاعل، وينسى أن التفاعل بحاجة إلى فريق متخصص، وصاحب مهارة في فن الاتصال!.

وهكذا تتجدد الصور...!.

فلـو أن الأخ الأول بحـث عن دار نشـر ممتازة - ولو كانت النتيجـة في المآل بعض المشكلات- لكان أفضـل مما قام به، فلربمـا قامت هذه الدار بنشر كتابه على مستوى أكبر، وبكلفة أقل، مع حصوله على شيء مما كان يرجو!.

ولـو أن الأخ الآخر اتفـق ابتداءً مع محطـة تلفزيونية جيدة المستـوى، وفرّغ جهده وطاقته وماله لبرنامجـه، واتفق مع شركة إنتاج مقتدرة، لاختصر الوقت، ووزعه على تجويد عمله وإنجاحه.

وكذلك، لـو أن الأخ الثالث تفاعل في موقع أو منتدى تفاعلي جماهيري، وثبَّت له اسمًا قويًّا، لكان لصدى كلماته العمق الأكبر.

إننـا بحاجة - إخـواني وأخواتـي- أن ندرس الخيارات المتاحة في مسيرة حياتنا، بشكل أدق.

كما أننـا بحاجة إلى أن نخاطـب المتخصصين والخبراء والناجحـين أو المبادريـن قبلنا، في المشاريـع التي نود الخوض فيها؛ للاستشارة والاستنارة.

وستكـون حاجتنا ماسة إلى من يعلمنـا سياسة النظر في الخيارات، بل اكتشاف الخيارات؛ التي قد تكون غائبة عنا.

ولربما كانت الخيارات التي تعلَّمناها - ولو ممن هو أصغر منا، ولكنه ذو تجربة- هي البداية والنهاية لحلم نطمح إليه!.

ونستطيع أن نخلص إلى قاعدة مفادها: من أحسن دراسة الخيارات فرِح بجمال النهايات.

الجوال (٢-٣)

عودًا على بدءٍ!.

تحدثنا في الرسالة السابقة عن الجوال في مميزاته، وما ينبغي لنا أن نتنبه له في جانب الاستفادة؛ التي ربما غفلنا عنها.

والآن نتحدث عن الجانب الآخر في خبر الجوال!.

أتحدث معكم عن خطورة الجوال في مجالات عدة:

١- الخطورة في خصوصيته: حيث يقوم البعض بتحميل صور مهمة، والاحتفاظ برسائل خاصة، وربما تكون هذه الصور مما لا يقبله عقل ولا دين!.

فمنها الصور الخاصة عن الأهل، أو ربما الصاحبة!.

ومثل ذلك الرسائل لا يمكن عرضها لأحد؛ لحساسيتها المفرطة!.

ألا تعتقدون - إخواني وأخواتي- أننا بهذه الطريقة سُلبنا صدق حياتنا، وصفاء تصرفاتنا؟.

ألا تعتقـدون أن الذين يخفـون الرسائل والصور هم جيل لم يتشبعوا العافية، وليس لهم مصداقية مع أنفسهم؟!.

لقـد وصف القـرآن الكريم المسلـم الحصيـف بأنه يأتي ربـه يوم القيامة بقلب سليم، والقلـب السليم هو الذي لا يُخدش بالخفاء، أو يتقلب بالاضطراب!.

٢- كسر حاجز الأدب: حيث يقوم الكثير بإرسال رسائل لا توصف إلا بقلـة الحياء، وتلف الأذواق، والسبـب في ذلك أن الرسائل المستترة تكون أدعى للإثارة في الحوار، وتبادل الكلام!.

فالإنسان -عادة- إذا قابل شخصًا فإن طبيعة اللقاء وجهًا لوجـه تفرضـ الحيوية في اللقـاء، بينما في ظـل الرسائل الهاتفيـة تختفي هذه القاعدة، ولربما تسربت تحت غطاء ما أسميه بـ (التعبير الخيالي)؛ فالبعض في ظل الرسائل الخفية يقول ما لا يتعود على قوله علانية!.

إنني أعجب -والله- من شباب طيب يكتب في (الماسنجر) وفي رسائل الجوال (عبارات شوارع)!.

ولو حللنا الأمر لما شككنا لحظة في حقيقة ما سبق ذكره.

٣- الوقـوع في امتحانـات صعبة: إذن ليس مـن المستغرب أن يصـل للكثير رسائل جنسية، وأحيانًـا صور إباحية وربما مرسومـة!، أو اتصـالات مغريـة، تتسـرب شيئًـا فشيئًـا للنفس، في لحظات فراغ.

وأعـرف ممـن ابتلـي بمشـكلات الجنـس - عافانا الله وإياكـم- أنه وقع فريسة لمكالمات مـع فتيات لاهيات ساقطات، سهلتها له خصوصية الهاتف الجوال!.

وعلـى الرغـم من كل مـا نرى ونسمـع ونقـرأ، فستتجدد المنكـرات الجديدة للجـوال؛ التي تحتاج إلى هيئـة من الذات للإنكار، وإذا لم تستحِ من نفسك فاصنع ما شئت!!.

الجوال (٣-٣)

أُنهي في هذه الرسالة الحديث عن الجوال.

في الرسالة الأولى تكلمنا عن إيجابياته، وطرق الاستفادة منه، وفي الرسالة الثانية تحدثنا عن خطورته في العلاقات، والآن نتمم الحديث عن عواقبه!.

لا شك - مطلقًا- أن (الجوال) سبب رئيس لتوريط الإنسان في تصرفات حمقاء، وإحاطته بشكوك هو في غنى عنها!.

فالتهاون في بعض الكلمات - ولو كانت عفوية- ربما سبَّب للشخص أزمة (أمنية)، لا علاقة له بها أصلًا!.

والتهاون في الكلمات مع بعض من لم يتعمق في معرفته يسبب ورطات؛ نتيجة عفوية العبارات والقصص والحكايات، مما يكون في معرفتها أو تسجيلها مأزق حقيقي، وشبهة لا غبار عليها!.

إن مشكلة الجوال أنه (مصدر إدانة)!!.

وهـذا لا يعنـي أن يعيش المـرء في شك مما حولـه، أو أن التجسـس حاصل علـى كل كلمة يقولها، ولكـن مع هذا لا مانع أن نقـول: إن التسجيل للمكالمات يكاد يكون شبه حقيقة للكثير منها، إن لم أقل للجميع!.

إذ بمـاذا نفسر الحصول على المكالمات مكتوبة لدى بعض الجهات عند حـدوث أي مشكلة - ولو كانـت قانونية- لإنسان عادي؟!!.

ومـاذا نفسر حرمان البعض من أعمـال معينة، أو أسفار لأماكن ما، مع ظنِّهم أن كلامهم كان له مبرر، في حين تغافلوا عن أن التبرير له قوانين، وأنه ليس كل تبرير مقبولاً عند بعض الجهات؟!.

ولعل من أخطر عواقب الجوال (قوة تنفّذه)!.

فكم من عوائل شُتتت، ونفوس اضطربت؛ بسبب الأكاذيب والتصرفات الرعناء!.

فهناك من هو محترف في التصيد لعوائل وأفراد بطرق مختلفة.

وهنـاك من ينتحـل شخصيات عدة؛ لإضعـاف وتشكيك الآخرين، بل لو تجاوزنا هذا البعد النفسي إلى ما هو أبعد من هذا، وأكثر خطورة، لوجدنا أن أكثر عمليات الاغتيال للشهداء في فلسطين كانت بسبب (الجوال)!!.

وختامًـا: فإن الشك في كل شـيء، وحول كل شيء (مرض نفسي)، ولكن عدم الضبط، والتصرف السيئ (مأزق نفسي)، عاقبتـه تـتراوح بـين (الحرمان، والنفـي) بما تحملـه هاتان الكلمتان من معنًى، وعسى ألاَّ نفهمها على وجه الحقيقة!.

اللهم سلم.. سلم.

MP3

هناك موضة كثيرًا ما نشاهدها في البرامج الغربية، وهي وضع سماعة الأذن داخل الأذن، و(تَدَلِّي) الأسلاك منها، حتى في قاعات الدرس أحيانًا!.

والمهم هنا هو ما دلالة هذه الموضة، وهل هي موضة حقًّا؟.

والجواب باختصار: إن الإنسان يمكن أن يجعلها موضة، ويمكن أن يجعلها غير ذلك!، فالموضة إن كانت مفيدة فهذا ما يأمله العاقل، وإن كانت للاستهلاك والتباهي وضياع الوقت فهذا ما لا يقره العاقل.

جهاز الـ (Mp3) هو في الحقيقة نعمة كبيرة من الله، يستطيع الإنسان من خلاله أن يضم آلاف الملفات الصوتية، في كافة الشؤون والفنون!.

والـ (Mp3) يمكن أن يوضع في جهاز الكمبيوتر، فيخرج الصوت بطريقة صحيحة، ويمكن أن يسمع ما فيه عبر سماعة الأذن، وهذا محور الكلام.

لقد ثبت في أكثر من مركز علمي لدى الخبراء أن الاستماع المتواصل عبر سماعة الأذن، وخاصة للمواد الصوتية الفنية، له أثره السلبي لا على الأذن فحسب، بل حتى على الدماغ، ولكن السماع المعقول - الذي يميل إلى القلة- لا بأس به.

والبعض من الشباب يضع في جهاز الـ (Mp3) كل شيء من المسموع، وأنا أرى أن هذه الطريقة غير مفيدة، وليست محققة للغاية المطلوبة، عند الشاب الواعي الحصيف.

نعم يمكن في البداية تسجيل كل شيء، ثم نقله لجهاز الكمبيوتر في ملفات، حسب مواد التجميع، ولكن بعد ذلك لا يبقَ في الـ (Mp3) إلا المهم والمفيد.

لأن بعض الشباب والبنات يضيعون أوقاتهم في البحث عما يريدون، ويطيلون التنقل بين المواد الصوتية، وهذا ما لا ينبغي على من يحترم وقته.

كما أن البعض لا يحلو له في ليله ونهاره إلا الاستماع عبر الـ (Mp3)، وهذا له مردود سيِّئ على ثقافة الإنسان ووعيه.

أنا أميل إلى أن يضم الـ (Mp3) مواد صوتية فنية، كالأناشيد المنوعة، ولكني أرى أن يضع فيه كذلك بعض السور القرآنية، والمحاضرات التربوية، حتى يعيش الإنسان لحظات التذكر.

ومـع هذا كلـه فينبغي أن يكـون السماع جـزءًا من المتعة والفائدة، لا أن يكون هو الأصل.

وبعضـ الشباب والبنات صار لديهم الـ (Mp3) المأوى في فترات الحزن والضيق والطفش، ولكن الفزع إلى القراءة الجادة والمتنوعة تجلب مقادير من السعادة والتفاؤل والمتعة والمرح.

وباختصار: الأمر نسبي، فلا مانع من السماع لـ (Mp3)، والأناشيـد والملفات الممتعة والمسلية، ولكن مع الانتقاء، وتقدير السماع ضمن حدود، والتوازن خير.

الفاحشة

لا أدري هل أستطيع في هذه الرسالة القصيرة أن أوصل ما أريد، حول هذا الموضوع الخطير، حقًّا لا أدري!.

الكلام عن (الفاحشة) هو أكبر وأخطر موضوع داخلي عند الشباب، المخلوق في كبد، المزيَّن له حب الشهوات!.

لا شك أن هذا العصر فسح المجال للكلام عن الفاحشة وتصويرها، والتعريف بكل تفاصيلها، عبر كافة الوسائط الحديثة، فضلًا عن القديمة؛ التي تغلغلت في كل شيء، طالما وُجِد الشيطان الذي يوسوس، ويُسهم في الابتكار!.

لا أريد أن أتحدث عن القصص والأخبار؛ التي يعرف عنها الكثير والكثير الشباب والبنات اليوم.

لا أريد أن أتحدث عن المشكلات والفضائح والآلام؛ التي كانت نتيجة الوقوع في الفاحشة مع أحدهم أو إحداهن.

لكني سأتحدث عن الشاب الذي لم ولن يمارس الفاحشة بتوفيق الله!.

أتحـدث عن الشـاب والبنت الذيـن لم يعرضـا أنفسهما لأحد، ولم ينزعا لباسًا أمام أحد!.

إنهـم نفـس الشباب، المملوئـين حيوية، وحبًّـا، ومشاعر، ووسوسـة نفـس وشيطان، ولكنهـم مع ذلك لم ولـن يمارسوا الفاحشة.

ليس لأنهم مـن عائلة محترمة وخلوقة فقط، وليس لأنهم لم يسمعـوا أو يعيشوا بعض المواقـف التي زخرفت فيها النفس السبـل للفاحشة، وليس هذا كله، بـل لأنهم أحرار، وإن ظنهم البعض بسطاء!.

لم ولـن يمارس الفاحشـة من يـدرك تمامًا أنـه سيفقد إنسانيته ومرحه.

لم ولـن يمارس الفاحشة مـن يعيش الحريـة والأمان في داخله؛ فليس عبدًا لأحد.

لم ولـن يمارس الفاحشة مَن هو أذكى مِـن كل من يظنه بسيطًا أو عاطفيًّا، فيجرح قلبه.

لم ولـن يمارس الفاحشة من يربي نفسه يوميًّا على الخير والبِّر والإحسان.

لم ولـن يمارس الفاحشة من هو فخور جـدًّا جدًّا، في كل يوم، وفي كل ساعة، بحفظ الله له.

لم ولن يمارس الفاحشة من خياله الواسع ليس في مضاجعة الحسان والحسناوات، وتقليب النظر في هذا أو تلك، بل خياله هناك، في المحراب، في البطولة، عند الحوض النبوي.

وسيبقى كل شاب وشابة لم يقترفوا هذه الخطيئة، أو ممن ارتكبها وتاب منها ونسيها، سيبقى هؤلاء أصحاب البطولات الحقة؛ الذين نزلوا ميدان الحياة كما نزل غيرهم، لكنهم كانوا من الداخل أعمق بكثير ممن يظهر من الخارج.

وعندما يُسعدهم الله باللقاء الحلال، يستطعمون لوحدهم الحلال الحقيقي الدائم!.

الابتعاث

أظن أن أكبر قضية شغلت الشباب هذه الفترة هي قضية (الابتعاث).

وفكرة الابتعاث فكرة حضارية استعمارية في وقت واحد!.

فهي فكرة (حضارية)؛ لأنها تعرف الشباب على الحضارات الأخرى، وفرصة للتزود من العلوم والمعارف التي امتاز بها الآخرون، كما أنها فرصة كذلك للتعريف بقيم المسلمين، وسلوكهم التطبيقي مع الآخرين.

وهي فكرة (استعمارية) كذلك؛ لأن أعداء الإسلام لم يجدوا أجود ولا أعظم طريقة لعرض أفكارهم، وحملها للتسويق بين صفوف المسلمين، بأسهل طريق، إلا عبر (الابتعاث)!!.

فهي فكرة (ثرية) و(مؤثرة).

الإنسان - إخواني وأخواتي- يميل إلى الشَّدِ!.

وهذا يعني ما عبر عنه ابن خلدون، المؤرخ والمفكر الكبير، عن الإنسان: أنه ابن بيئته، وأنه يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه، وهذا هو الأصل.

والشباب المبتعث ثلاثة أصناف: صنف تغرب بالنسبة الكبرى، وأحاطت به خطيئته من كل مكان!.

وصنف في حالة توهان مستمر، فهو بين انبهار فترة، وجري وراء شهوته مرة، ومحاولة للحاق بركب التعليم مرة، فهو صنف خليط.

وصنف ثابت على مبادئه، متماسك مع أصدقائه، واعٍ لخطورة واقعه، متحرك نحو الغاية التي جاء من أجلها، محاط ببيئة جيدة.

هذا من ناحية العاقبة، والشواهد يعرفها كل الشباب!.

وهناك نقطة مهمة حول موضوع الابتعاث، كثيرًا ما أسأل عنها: ألا وهي لماذا الابتعاث؟.

البعض من الشباب ناجح في دراسته، وله امتداد في علاقاته في مجتمعه، ومطمئن مع أهله، ومرتاح من داخله، ولكنَّ (بهرجة) الابتعاث تغريه (دراسة اللغة الإنجليزية، ودراسة الماجستير، والتعرف على الحضارات المختلفة...)، والبعض لديه مآرب أخرى!.

وإذا نظرنا إلى هذه المغريات نجد أنها نقاط مفيدة، ولا غبار عليها، إذا كان الشاب بحاجة لها، ولا طريق للوصول إليها إلا عبر الابتعاث.

أمـا أن ينقطع الشاب عن أهله ومجتمعه ودعوته ودراسته، وهـو ناجـح في المجتمع، وبإمكانـه الحصول علـى كل ما مضى بطـرق كثيرة ممكنـة، كأن يدرس الإنجليـزي في دورات، أو في مُدَّة الإجازات الطويلة، ويلتحق بإحدى الجامعات المعترف بها، انتظامًـا أو انتسابًا، والحصول علـى الدرجة العلمية، مع زيارة بعض هذه الدول في جـولات متوزعة، فإن المغامـرة بالابتعاث، والانقطـاع عـن عمـل الحيـاة، والتعرض للمخاطـر النفسية والاجتماعية والدينية، أمر يحتاج لإعادة نظر!.

ليسـت الشطـارة ولا المفخرة أن يكـون الشـاب أو الفتاة حاصلـين على شهادة من دولة غربية، وليست المكرمة أن يكون المـرء دارسًـا في بلاد الغرب، بـل المكرمة والمفخـرة أن يحقق الإنسان أهدافه بأصلح طريقة، وأنقى سبيل!.

ولهذا أنـا مع الابتعـاث المدروس والمخطط لـه، والمجدي لصاحبـه علمًـا وتخصصًـا ومعرفـة، وأنـا ضـد الابتعـاث لذاتـه ممن هو ناجـح في حياته، ومستقبلـه الوظيفي والعملي والاجتماعي متاح في بلده.

سائلًا المولى للجميع النجاح والثبات.

الاختلاط

من الطبيعي في ظل الفراغ العاطفي والديني أن تنشأ بعض الأفكار والتصرفات غير المحمودة أو المريبة.

ومسألة الاختلاط بين الأولاد والبنات؛ التي ظهرت حتى عند شبه المتدينين، أو في أوساط الطيبين، فضلاً عن غيرهم، أصبحت ظاهرة في المناطق التي تساهل فيها الطرفان، بالمشاهدة واللقاء والحوار العام والخاص مع الضوابط!.

ويكثر عن الطرفين ممن يخافون اللّه، ويخشون الوقوع فيما لا يرضي اللّه، ولا رسوله ﷺ بضعة أسئلة، أجملها فيما يلي:

س١/ ما هو الاختلاط؟.

هو لقاء الرجال بالنساء في غير أمر مشروع، أو بطريقة غير مشروعة.

س٢/ وهل هناك اختلاط مشروع؟.

فلنسمه مثلاً اللقاء المشروع، كالحج والعمرة والاجتماع في المسجد، أو للضرورة كالمعركة.

س٣/ ما المانع من لقاء الرجال بالنساء في مجلس واحد، وحديث مشترك، مع الحفاظ على خصوصية كل فرد، وعدم الخروج عن اللائق والممنوع دينيًّا؟.

في الأصل لم يكن في العهد النبوي هذه الجلسات، كان للرجال مجالسهم، وللنساء مجالسهنَّ، ولم يكن الرجال يجلسون مع النساء، إلا لحاجات محدودة، كالتعليم أو الاستشارة، وفي أوقات محددة فقط.

أو للأمر الطبيعي كالسلام، والسؤال العام عن الأهل أو الصحة، حسب الحال والموقف.

س٤/ قد يرى البعض أن حديث الشباب بالبنات يخفف لأواء العاطفة الجامحة، مع عدم الخروج عن المرفوض عرفًا وشرعًا؟.

كل الشباب والبنات يحفظون قصة النبي ﷺ مع الصحابي الشاب الفضل بن عباس رضي الله عنهما، لما رأى الفتاة في رحلة الحج، فأمره النبي ﷺ أن يصرف بصره عنها، بل مد يده الشريفة تجاه رأسه ليمنعه!.

إن هذا التصرف العملي هو رسالة واضحة ومؤدبة ومباشرة وقوية للشاب، أن يلزم حدود المشاهدة واللقاء.

والذين يقولون هذا الكلام لم يقرأوا ما قاله من اشتُهر بالفضيلة، ومن تغنى بالرومانسيات الجميلة!.

فممـن اشتُهر بذكـر الفضيلة (الشيخ علـي الطنطاوي) عندما قال:

يا إخواننا، إن المقـام مقام مصارحة ومناصحة، لا مقام مـداراة ومجاملة، والأمر أخطر من أن يُجامل فيه، هل يجامل الطبيب مريضه فيقول له: صحتك جيدة، ما بك شيء، وميزان الحرارة يشير إلى أن حرارته أربعون؟!.

فلا تؤاخذوني إن صرحت وما لمحت، وأوضحت وما لوّحت.

لا تقـولي - يا بنتي- هذا شـاب صالح، وهذا زميل، وهذا مدرس، فكل شـاب في الدنيا يميل إلى الفتـاة، وإن كان اليوم تقيًّـا فربما غلبته غريزتـه، أو رأى إبليس منـه أو منك لحظة ضعـف، فدفع بكما إلى الهاوية، لا تقولوا لي هذا غير صحيح، فـإني لبثت في القضـاء أكثر من ربع قرن، ومـر عليَّ أكثر من عشرين ألف قضية زوجية، حكمت فيها، فأنا أتكلم عن خبرة.

إذا قال لك الشاب - يا بنتي- صباح الخير فإنه سيقول بعدها - إذا أنت شجعته، ووصلت حبل الكلام- كلمات الحب والغرام.

ومن اشتهر بغناء الرومانسية (نزار قباني) عندما قال:

أقـول أمـام النـاس: لسـت حبيبتي

وأعـرف في الأعـماق كم كنت كاذبَا

وأزعــــم ألاَّ شــيء يـجـمـع بـيـنـنـا
لأبـعـد عـن نفسـي وعـنـك المتاعبا
وأنـفـي إشـاعـات الـهـوى وهـي حلوةٌ
وأجـعـل تـاريـخـي الجـمـيـل خـرائـبـا
وأعــلــن في شـكـل غـبـيٍ بـراءتـي
وأذبـــح شـهـواتـي وأصـبـح راهـبـا
وأقـتـل عـطـري عـامـدًا مـتـعـمـدًا
وأخـــرج مـن جـنـات عـيـنـيـك هـاربـا
أقــوم بــدور مضـحـك يـا حبـيـبـتـي
وأرجـــع مـن تـمـثـيـل دوري خـائـبـا
فـلا الـلـيـل يـخـفـي لـو أراد نجـومـهُ
ولا الـبـحـر يـخـفـي لـو أراد المركبا

وكلا الرجلين وصلا إلى نفس النتيجة، فتريدون أن نصدق بعد ذلك من؟!.

س٥/ أليس هناك من العلماء من أباح الاختلاط؟.

الذين يقولون هذا لكلام لم يقرأوا ما قاله العلماء، بل حفظوا الرأي دون تمحيص، ودونكم شاهدًا واحدًا فقط من العلماء المشهورين، وهو الشيخ العلامة (يوسف القرضاوي)، عندما ذكر رأيه في الاختلاط، ذكر (٦) شروط، هي:

١- الالتزام بغض البصر من الطرفين، فلا ينظر إلى عورة، ولا ينظر بشهوة، ولا يطيل النظر في غير حاجة!.

٢- الالتزام من جانب المرأة باللباس الشرعي المحتشم؛ الذي يغطي البدن، ما عدا الوجه والكفين، ولا يشِفّ ولا يصف!.

٣- الالتزام بأدب المسلمة في كل شيء، وخصوصًا في التعامل مع الرجال: في الكلام، بحيث يكون بعيدًا عن الإغراء والإثارة، وفي المشي، وفي الحركة، فلا تتكسر، ولا تتمايل.

٤- أن تتجنب كل ما من شأنه أن يثير ويغري، من الروائح العطرية، وألوان الزينة؛ التي ينبغي أن تكون للبيت، لا أن تكون للطريق وللقاء الرجال.

٥- الحذر من أن يختلي الرجل بامرأة وليس معها محرم.

٦- أن يكون اللقاء في حدود ما تفرضه الحاجة، وما يوجبه العمل المشترك، دون إسراف، أو توسع يخرج المرأة عن فطرتها الأنثوية، أو يعرضها للقيل والقال، أو يعطلها عن واجبها المقدس، في رعاية البيت، وتربية الأجيال!!.

فهل واقع الشباب والبنات تنطبق عليهم هذه الشروط الواضحة.

س٦/ إذن ما توجيهكم حيال هذه الظاهرة؟.

المرء أحرص على دينه وقلبه وأعراض الناس، والشاب والشابة في مثل هذا السن أكثر من غيره تتحرك فيه نوازع كثيرة، ومنطق العفاف ليس سبيله الاختلاط، وتسلية النفس ليس باختلاس النظرات!.

ومن كان رفيع الأخلاق وله مناقب، فيخاف أن يخلط شرًّا بصلاح، وجد طعم العز فية، وذلك منهج المرأة مع صالحٍ، حين استعرت شهوته، فهمَّ وقارب:

فقالت: أما ينهاك عن تَبَع الصِّبا

معاليكَ؟، والشّيبُ الذي قد تبيَّنا

والله جميل يحب الجمال، وطيب لا يقبل إلا طيبًا، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣٠).

التفاؤل

قديمًا كان يقـول الحكماء: «ولا يُحب للعاقل أن يغتمّ؛ لأن الغم لا ينفع، وكثرته تـزري بالعاقل، ولا أن يحزن؛ لأن الحزن لا يرد المرْزِئة -المصيبة-، ودوامه ينقص العقل».

والحقيقـة أنـه كلمـا استـوى الحزن علـى القلـب استبدَّ بصاحبه، وتحولت الحياة إلى معاناة ومقاساة!.

إن الفكـرة ربمـا تتحـرك في نفـس الشـاب، فتُسهِر ليله ونهاره، وتحـرك كل خلية فيه، حتى تغطي على منطقة الشعور عنده؛ ليعيش في اللاشعور!.

والنفس شتى شجونها كما قال الشاعر:

وهـذه النفوس - كما يقول ابن القيـم- تتقلب في الساعة الواحدة على عدة صور!.

نفسي التي قد حلَّقت بالحب فوق الأنفس

يومًا أراها أحسـنت صـنعًا وأيامًا تُسِـي

وعنـدي أن مصـدر التفـاؤل والأمـل في موعـود الله، هو الرهان على صلاح النفس!.

وأنا - عفا الله عني- وإن كنت شابًا إلا أني مررت بمراحل كثيرة، كنت أرى فيها الحياة ولا أراها!.

ولا عاصم ولا مطمئن حينها إلا حب الله وكرمه والتعلق به.

صدقوني أنني أحمل قصصًا كثيرة عن نفسي، وعن أناس كـثر، غيَّر الله حالهم، وتحقق لهم كل ما كانوا يأملون به، على الرغم من كل المعوقات والموانع الداخلية والخارجية!.

وصدق الشاعر عندما قال:

انظر فحيث ترى السيوفَ لوامعًا

أبـــدًا فـويـق رؤوســـهـم تـتـألـق

وايم الله إن المسلم الصالح، والشاب الذي لم تُشتَهر عنه صبوة محرمة، وفي طريق صلاحـه وإصلاحه، ليجدن فوق ما يرجـو، حتـى لا يكون أمامه من تعبير سـوى الخجل من عطاء الله الكبير له!.

إن التفـاؤل ليـس جرعـة دواء، ولا قصة تسليـة، إنما هو كالعصب في العظم، والتيار في السلك الكهربائي.

إن التفاؤل ممارسة عملية، ترى صاحبها مبتسمًا، منجزًا، مؤملًا، على الرغم من كل اليأس والصور السلبية التي أمامه.

إن التفاؤل الحقيقي ينبع من صاحب المعالي والمكرمات والمروءات، كما كان يقول أحد الدعاة: كنا نلجأ - بعد الله- إلى بعض المشلولين يمنحوننا من الأمل ما لا يمنحه المتحركون!.

إن التفاؤل هو التغافل عن الأخطاء البشرية العفوية، والعمل الدؤوب بنية صالحة.

إن التفاؤل يتدفق في نفس رفيع الأخلاق ذي المناقب، الشريف ذي المروءة؛ الذي يتلذذ بالعز، ويخرج من جو المعصية عزيز النفس، عالي الهمة.

المقالة الأخيرة

سألت نفسي: متى سأقف عن كتابة هذه السلسلة، هل لها أمد محدد، أم أن القدر سيمضي إلى أجل غير مسمى؟!.

ولم أستطع أن أجب عن أحدهما، فليس في تفكيري شيء الآن، وليس بعد القدر بحث!.

ولكني قلت: لقد كتبت الكثير، فما حظِّي مما كتبت؟!.

هنا أذنت لدموعي أن تتكلم، وطلبت من قلمي أن يرتاح!.

فأذنوا لي - أيها الإخوة والأخوات- أن أكفَّ عن الكتابة في هذه السلسلة، لا لشغل والله يعلم، ولا لعائق نفسي أو بدني، إنما لتتأمل النفس في كل ما قيل، وأتعلم مما كتبه المعلقون.

سأعود إن شاء الله، يوم أحس أنني استوعبت كل ما كتبت بروحي، وصدَّقه عملي!.

وإلى ذلك الحين أستودعكم الله؛ الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم.

اللُّوك

افتـح أي مجلة، أو مرَّ على أي شـارع يجتمع فيه الشباب، تجـد شيئًا لافتًا للنظر، وهو ما يسمى بـ «اللّوك»!، والمقصود: الشكل الجديد الذي يميّز صاحبه، فنانًا كان أو رياضيًّا أو....

وهـي حركة إبداعية في ظاهرها، ولكنها في النهاية حركة تقليدية، فكيف يكون إبداعًا وتقليدًا في الوقت ذاته؟!.

وآخـر «لـوك» رأيته في مجلـة لفنان غنائـي، رسم صورة حشـرة على قميصـه كآخر «لوك» جديد!، كمـا أنه في صورته علـى المسـرح أظهـر شياكته الرسميـة «بنطلـون - قميص - كرفتة» ولكنـه - أكرمكم الله- لبس (جزمـة) رياضية، يعني (٩٠٪) رسمي و(١٠٪) شعبي!!.

إن هذه الحـركات التي يظهرها لنـا الفنانون - بين فينة وأخـرى- إنما هي محاولة للفـت الانتباه، والخروج من مشكلة الغيرة؛ التي تنتابهم بمجـرد التحول عنهم، وعن (لوكاتهم)، إلى «لوكات» أشخاص آخرين، بأفكار جديدة، ولو كانت حقيرة وساذجة كالحشرات!.

والقصة نفسها تعيشها الفتيات في عالم الملابس والتسريحات، بل حتى الحركات في المشي والجلسة!.

وبالعموم؛ فإن النزوات، والدعوة إليها، لها بريق وجمهور يتبع، لكنها في المآل تتشرذم، وتُرْمَى، وتفقد صلاحيتها!.

والشيء الوحيد الذي يبقى «لوكه» على مر الزمان مستقرًا في نفوس من يشاهده، هو «لوك» صاحب المحبة والسمت الحسن!.

وكلما اقترب الإنسان منهم، ولمس نبل أخلاقهم، وجميل تعاملهم، وطيبة معادنهم، وصدق بسماتهم ووقفاتهم، فوالله إنها للكنوز التي تشترى بأغلى ثمن، والمجالس التي يُرحل إليها من أقاصي الدنيا، والطيب الذي يبعث بشذاه الزاكي العبق، فيحلّي المجالس والأيام.

ونحن اليوم بحاجة إلى إشراك الجيل في مجالس أهل الخير والحب والسمت الحسن، بشتى الطرائق، وحينها سيدركون أن لأنسامهم الطاهرة، وكلماتهم الصادقة، ما يُخَفّر أثره في القلب، لا على القميص الذي يُرْمَى، والشَعْر الذي يزول!.

الماركات

لا يكاد أحد يمد عينه الصغيرة هناك أو هناك، إلا ويجدها مليئة ومزحومة بصور عن ماركات عالمية متنوعة وحصرية ربما!.

فالبنت بمجرد أن تدخل مدرستها أو كليتها وهي ترتدي ساعة جميلة، أو (بلوزة) أنيقة، أو ترش عطرًا فواحًا، إلا وتتبادرها الأسئلة من هنا وهناك، ولربما حتى من المدرسات، من أين لك هذا؟!.

والشاب لا يبدأ ولا ينتهي في تشكيل سيارته، واختيار (فنيلته)، مرورًا بساعته، حتى (حذائه) -أكرمكم الله- ليتميز، أو يتجمل إلا ويلقى الأسئلة نفسها، من أين هذا؟!.

والجمال والشياكة الأنيقة المتزنة، السوية، تتقبلها النفوس، وتهواها وتحبها، ولكن التصنّع والأبهة لا تسرق إلا صاحب الشعور المزيف نفسه!.

كيف أستوعب أن شابًا يلبس ساعة (شيك)، و(فلاين) من أفخم الماركات، ويلون ويجدد بين ما يلبس، ولكن عليه ديون لأصدقاء لا يؤديها، ويمد يده للأصحاب؟!.

كيف أستوعب فتاة رشيقة أنيقة في كل شيء، شكلًا وملمسًا، ولكنها أنانية موصوفة بين صديقاتها بالمراوغة؟!.

كيف أستوعب أن إحداهن أو أحدهم يشتري ماركة بقيمة مكافأة مضاعفة، أو راتب بأكمله، ويتورع عن المشاركة في أبسط حقوق الناس؟!.

الماركة الحقيقة - إخواني وأخواتي- أن تكون لكل منا سجية صالحة بها يُعرف، وسريرة صادقة بها يظهر، تزيده مع الأيام هيبة ومحبة، وتزدان في النفوس، وتسر المؤمنين... بينما الماركات الدنيوية تتغير وتنتهي، وتغلو وترخص، حسب الأهواء واللعب بالناس!.

كشف العورات

استمعتُ إلى فنانة مشهورة، أكرمها الله بالحجاب، سألها المذيع: «هناك خلاف حول قضية الحجاب!، فقالت له: أنا حاجة (وربنا) حاجة تانية!».

الإنسان عندما يكون في مجتمع يهوِّن المحرمات، ويعيش في الرذائل، ويمارس بعض الرزايا، لا مانع عنده أن يتجرأ على الحق، وفي الحديث الصحيح: «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»!.

والعبارة جميلة وعظيمة ودقيقة «إذا لم تستحِ».

وأعظم ما في الحياة أن يصون الإنسان ما يُستحى من مشاهدته أمام الناس، وأهم ما يُستحى منه (العورة).

ولقد سمعت ولاحظت ممن حكى لي، وممن لم أكن أتخيل أن يصير منهم هذا الشيء، أنهم تجاوزوا الحد إلى أبعد درجة!.

ما هذا الذي بلغنا أن هناك جلسات (مساج) تُكشف فيها العورة بحجة العلاج الطبيعي؟.

وما هـذا الذي بلغنـا أن المعالـج للشاب امـرأة، والمعالج للمرأة شاب؟.

وكل هـذا يحدث في ظـل النظام في الفنـادق، أو حتى في الشوارع العامة، ذات اللافتات الصحية المنوعة!.

ثـم مـا تسلـل إلى البعض مـن الشبـاب من النظـر إلى العورات، والبرامـج الملهيات، بحجة قرب زواجهم، ومعرفتهم ببعض الأسرار؛ التي يرون أنهم بحاجة إلى معرفتها!.

إن الإنسان يستطيع أن يخادع العالم كله، ولكنه لا يستطيع أن يخـادع نفسـه؛ لأن الفطـرة تأبى أن تنقاد لأهـواء الإنسان وأنانيتـه، وهذه التصرفـات المريبة، وكشـف العورات في غير ما ضـرورة شرعية، ولا مسوغ حلال، يفضـي بالمرء إلى إهانة نفسه وتعذيبها، ومن هانت لديـه نفسه، وتكشفت أمام الخلق عورتـه، فلا حاجـة للشيطان به، فضلًا عـن الملك المحيط به، والله المستعان!.

العقوبة

هـذا الموضوع أحسب أنه مـن أدق المواضيع في حياتنا، إن لم يكن أدقها وأخطرها!.

كيـف لا يكـون الأمـر كذلـك وسعـادة الإنسـان وشقاؤه مرتبطان به؟.

قـد تجـد الإنسان منـا فرحًـا بدراسته وشكلـه ومنصبه وموقعه الاجتماعي، ولكنه معذّب من الداخل!.

قد تجد الإنسان مسافرًا من مكان إلى مكان، ويشتري ما يريد، ويركب السيارة التـي يريد، ويسكن الفندق الذي يريد، وليسـ هنـاك أي عائق يمنعـه من المتعة، ولكنه مـع ذلك ليس في كامـل سروره!، قد تجد الإنسان ناجحًـا في حياته، مرموقًا بـين زملائه، محتفًى به مـن كل من يحيط به، ومع ذلك يشعر بالوخز الداخلي!.

فقد تجد الإنسـان مشهورًا، ومعروفًا بين الأوساط العامة والخاصة، وله في صفحات الإعلام رنين ومتابعة، ومع ذلك لم يجد ما يفرحه في نفسه!.

كلُّ مـا أريـد أن أقولـه: أن العقوبـة من الله للعبـد تتنوع وتتزخرف!.

إي والله، قد نجد إنسانًا طيبًا، وفتاة طيبة، يعاقبهما الله بالتأخـر عن الصلاة، أو صرفهما من قراءة كتابه العظيم، أو حرمانهما من مجالسة الصالحين.

قد تجد أحدهم أو إحداهن على درجة من الطيبة، ولكن الله يعاقبهم بالخلوات السيئة، والنظرات المريبة، والخيالات الفاتنة.

إن العقوبـة من الله قد تكـون أمرًا يسيرًا حقـيرًا، ولكنه يصعـب على المرء الانفـكاك منه، وتجـاوز مساوئـه النفسية والبدنية والاجتماعية!.

وقـد تكـون العقوبـة من الله في نفـس ما يحـب الإنسان، ويطمح أن يصل إليه، فيكن الدواء داءً، والمتعة ويلًا!.

ووالله لن يجـد أحدنا طعم الحرية والراحـة النفسية إلا إذا وهبـه الله حبـه، وسر حبـه في كلمة واحـدة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

المباريات

قبل خمسة وعشرين عامًا تمامًا أتذكر جزءًا من مباراة شاهدتها قبل تسليم الملك فهد (رحمه الله) الكأس للفريق الفائز، وربما كانت المباراة بين فريقي «الإتحاد» و «الإتفاق» فيما أتذكر، أو لعلي وهمت!.

وكانت قضية «تشجع مين»، تسير مرة ثابتة عندما يستقر وضع الفريق، وأحيانًا مع سياسة التنقل على الفرق، على حسب سوق الفريق الفائز!، المهم أن المباريات كانت تُبث على التلفزيون السعودي (القناة الأولى)، وتتحول المباراة وقت الصلاة إلى (القناة الثانية)!.

ومع ذلك فكانت المباريات محدودة جدًا، وفيما أتذكر أن البطولات كانت على «كأس الملك» و «كأس الدوري العام»، علمًا أنني إلى هذه اللحظة لا أعرف الفرق بينهما!.

وكان التشجيع لا يعدو «الحارات» واللعب بالدراجات!.

وأول اندفاع حصل في البلد نتيجة فوز «الأخضر» في كأس آسيا؛ الذي (لحلح) حناجر المغنين، بدءًا من «الله الله يا منتخبنا» إلى «هز الشباك جمهورك وراك»!.

ومـا طلعنـا وقتها باصًـا، ولا حتـى «هايلوكس» إلا وهذه البلابل - وأحيانًا الغربان- (تلعلع) هنا وهناك.

وربما لم يعلَق في ذهني إلى هذا الوقت سوى «سعيد غراب» و«أمين دابو» و«صالح النعيمة» و«ماجد عبد الله» وكم واحد!.

وكان التشجيع لـذات الكورة، والتنافس و(لا أروع) لقلة المباريات، والاستعداد النفسي من الجماهير لمشاهدتها.

لكـن المباريـات اليوم في الأعـم الأغلب، فقـدت هويتها، فصار المال هو المحرك و«الدينامو» لها.

أصبح البقاء لمن يُدفع له المال، ويُشْتَرَى لناديه «الحريفة» بالملايين، من هنا وهناك.

أصبحت المباريات متاجرة بالناس والشركات، فوجود البطولة في دولة ما، يعني الانتعاش الاقتصادي، و«الحلو للحلوين»!.

«المباريات» اليـوم صارت سلعة، و«اللاعب» عليه أن يفهم أن مستقبلـه يمكن أن يضيـع في لحظة، إذا لم يمتع جماهيره، إذ لا دخل لهم بتقلباته النفسية، وأوضاعه الاجتماعية.

و«المدرب» كذلـك يرتبط حبه وبغضـه بالفوز والخسارة، فـوالله لو فـاز الفريق الـذي يديـره «شختك بختـك» لجعلوه أسطـورة الزمـان، وعبقـري الأنـام، ولو «انسـدح» فريقه من نفسه مرة، ليئسوا منه كما يئس الكفار من أصحاب القبور!.

«المباريات» اليوم تجاوزت مسألة حكم النظر إليها ومتابعتها، بل صارت جزءًا من حياة الناس، حتى في التحكم في شخصيتهم!.

ومن نافلة القول أن نقول بكل أسف: إن بعض المطاوعة صاروا يبرمجون أوقاتهم ومناسباتهم بعد بعض المباريات المهمة!، والأكثر عجبًا أن بعض العرسان «يلطعون» معازيمهم في حفلات الأعراس في انتظارهم، إلى حين يحضرون مع أهاليهم مرة واحدة، ولكن بعد نهاية المباراة المهمة؛ التي تم الاتفاق على مشاهدتها، ثم إكمال الفرحة بعدها!.

والحال من بعضه مع مديري الدوائر الحكومية والمدرسين، بل حتى المدرسات والطالبات والمشجعات!.

ولست أدري هل الشباب اليوم يشاهدون مباريات للتسلية والمتعة، أم يشاهدون سلعًا تباع وتشترى، وقيمًا يرتفع سوقها ويهبط بعد النتيجة؟!.

من عنده الخبر فليخبرني؛ فإن عهدي بآخر كأس قبل «خمسة وعشرين» عامًا فقط؟!.

ماذا لو مت؟!

يـا تُـرَى: هل سيبكـي علـيّ أهلي وزوجـي وأبنائـي أيامًا متواصلة؟، هل سأُذكر في المجالس العامة والخاصة؟.

هل ستُكتب المقالات، وتمتلئ المدونات، وتدبج الصفحات، وتنتشر في الإنترنت التعليقات؟.

هل سيُسمَّى باسمي مشروع، أو سأخلد في احتفالية رثائية لما بعد الموت؟.

ماذا يمكن أن أفكر ويفكر لي غيري بعد الموت؟.

والسـؤال الـذي لم يُجِبْ إلى الآن عـن حقيقته أحد، ماذا لو مت؟!.

إن كل هـذه الأعمال والبروتوكـولات لا تجيب عما وقر في القلب، وصدقه العمل!.

إن الذي سيقول ماذا لو مت، هو الإنسان نفسه!.

لأنـه ما بين نـزع الـروح وعودتها إلا لحظـات، يوم يدخل الإنسان في قـبره، ويجيب عن خمسين أو حتى مئة سنة، أو أقل

أو أكثر من عمره، وفي الأثر: «ليلتان لم يسمع الخلائق بمثلهما، ليلة يمسي فيها الإنسان في قبره، وليلة صبيحتها يوم القيامة»!.

كل ما سيقوله الناس ويفعلونه لن يغيرِّ من الحقيقة شيئًا، قد يكون بعضه عظة وعبرة، وما أقلَّ المنتفعين، وأكثره أداء واجب، وعربون صداقة!.

كثيرًا ما أسأل نفسي هذا السؤال: كم سأعيش، وماذا يُخَبَّأُ لي؟!.

قد أستغرق في التفكير فأرى أنني لن أعرف شيئًا سوى أنني سأموت، وأحاسب، وأقوم بين يدي الله، ويأمر بي إلى ما اقتضته رحمته وحكمته وعدله.

إن قلت: إنني خائف من الموت فنعم، فأخطائي وتقصيري في حق الله لا أكابر فيهما، وإن قلت: إنني غير مستعد فأحلامي على أقل تقدير تكذبني!.

ولكني مهما قلت، أو حاولت أن أقول لنفسي شيئًا: فأنا أنتظر!.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

إن الكلمة الوحيدة التي لا تحتاج إلى فلسفة هي كلمة (الموت)؛ فهو ليس غامضًا، فنحن نراه في كل يوم، وليس في حس المؤمن أن يكون بعيدًا، إنه أقرب إلى أحدنا من شراك نعله!.

قـد أغيـب وأطيل الغياب عـن نفسي، وقد أعتـزل وأطيل العزلة؛ لأراجع نفسي وأمسي!.

جـل الذين يعظون في الموت يعيشـون أحلى أيامهم، وأمتع أزمانهم، وأنا منهم!.

كثـيرًا ما أقرأ السـيرة العطرة وفي مخيلتـي سؤال يدور: كيـف كان النبي ﷺ؛ الذي أُمرنـا بالتأسي به، يفكر في الموت، ويعيش دنياه؟!.

وفي الحقيقة أنني في كل يـوم أكتشف في السيرة ومُلهمها شيئًـا جديدًا، ولكني مهما حاولت أن أقترب، فستبقى اللحظة النهائية الكاشف الوحيد لصدق ما فهمت، وسجّله الملك، فإما يشفع لي حينها، وإما كان خصيمي، واللّه المستعان، والأيام في المآل على ما مضى، فهي المستقبل لما هو آتٍ!!.

الرياضة

زرت الأسبوع الماضي أحد أساتذتي الفضلاء، وكان قد أُجرِيَت له عملية جراحية في ظهره، اطمأننت على صحته، وشربت عنده عصيري المفضل.

حدثته من باب المواساة عن الشيخ الدكتور: سيد نوح (رحمه الله)، وكيف أنه يرى وجوب الاهتمام بالصحة، وخاصة من الدعاة والعاملين لخدمة الدين، وأن الذي رآه في بدنه في أثناء مرضه يوجب طلب العافية، والاهتمام المبكر بالصحة، والاستمرار في البرامج الرياضية المعينة للجسد، ما إن أنهيت كلامي هذا إلا وبادرني أستاذي المريض قائلا: قبل أن تخبرني بهذا الكلام كنت قد أوجبت على نفسي يومًا في الأسبوع لا أبيح لنفسي التنازل عنه؛ لممارسة الرياضة.

الحقيقة أن كل من يدخل غرف المرضى، أو يزورهم في مساكنهم، تقفز إلى ذاكرته العبارة الشهيرة: «الوقاية خير من العلاج».

ما ضرَّ الشبـاب والبنات أن يخصصـوا لأنفسهم نصف ساعة يوميًّا، أو ساعتـين أسبوعيًّا؛ لممارسة الرياضة (هرولة، سباحة، ألعاب قوى،...).

علـى الشباب ألاَّ يغتروا بصحتهم، بل يجب عليهم - على فتوى الشيخ سيد نوح- العناية بالرياضة والعلاج البدني.

وعلـى البنات ألا يتذرعوا بالجلوس على النت والماسنجر، وينسُـوا الرياضة في بيوتهم، عبر الأجهـزة المختلفة، على أقل تقدير.

ولا نعجـب إذا عرفنـا أن أكثر دعاء النبـي ﷺ،كما تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية**».

فلنضع شعارنا «العافية أولاً»!.

ولا ننسـى أن تمام العافية بالبعد عن المعاصي؛ التي تؤرق النفس، وتستجلب الهم، وكفى بذل المعصية ذلاً!.

الزواج

حديثي إليكم اليوم حديث خاص!.

(الزواج) هو اقتران المحبَين، وتناغم العاشقَين، وامتزاج الرُّوحَين.. هو الجمال في أبدع صوره، والإحسان في أروع مشاهده، والحنان في أرقِّ لمساته، والوئام في أجلى تجلياته، والجسد في أمتع تقلباته!.

قرأت عن الزواج قبل أن أتزوج مئات الصفحات، وسمعت مئات القصص، وحدثتني النفس حديث الغرام بكل الطرق والوسائل!.

ومع ذلك تزوجت وأنا أزحف إلى الأربعين!.

وكثيراً ما كانوا يسألونني: لماذا تأخرت في الزواج إلى هذا العمر؟، ودائمًا ما أقول لهم: (ما جاء نصيب)!!.

منذ القدم وأنا أنظر إلى الزواج كما ينظر العقلاء، أنه وئام فطري، وأمر نفسي، وطلب شرعي، وليس دغدغة إمتاعية في الأول والآخر!.

وكنت مشغولاً طول تلك الفترة بهمومي العلمية والدعوية، ولم أكن أنتظر من يجبرني على الموضوع، إلى أن تبدأ النفس بمطلبها، والبدن بحاجته، وحينها (إن لنفسك عليك حقًّا، ولبدنك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حقٍّ حقه).

وعشت الزواج وأيامه الحلوة بهذا المفهوم، فما طغى - بفضل الله- جانب على جانب، مع أن القصور قد يكون موجودًا؛ لأننا بشر.

كل ما أود أن أقوله -إخواني وأخواتي- أن الزواج يجمُل بانسجام الحياة الطيبة مع الشاب.

قد يتأخر الشاب، وقد تتأخر الفتاة؛ لأمور عدة، وظروف مختلفة، لكنهما طالما كانا منسجمين مع واقع الحياة، بعيدينِ عن مهاوي الردى، مشغولينِ بما ينفعهما، فإنهما لن يخسرا ماضيهما، ولا مستقبلهما.

ووالله لو اقترب دون هذه النظرة لما زاد جمالا ولا تجديدًا.

الزواج رزق مكتوب، كما العمر مكتوب.

والمهم أن يهتم كل منا بنفسه، ويرعى أيامه، بحفظ جوارحه، والانشغال بما ينفعه، وألا يخشى من موعد الزواج؛ لأن الزواج - قرُب أو بعُد- في حس المتزن المنسجم في حياته،

زيادة في الجمال، وراحة في العلاقة، وقوة في النشاط، واستقرار وأمان.

وكل عام وشباب وبنات فور شباب في أمتع المنى، وعسى ألا ينسوني من كروت دعوة الفرح!.

السر

هذا السر في الحقيقة أعيا الأولين والآخرين، وتراكم في عقول ونفوس الناس مع طول الأيام والأحداث والمواقف حتى شغلهم!.

سؤال يطرحه الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والملك والمملوك، والعامة والخاصة.

سؤال بسيط، وجوابه ليس بسيطًا!.

كلما شاهد الناس الواقع المتطور، والنجاح الباهر لشخص، قالوا عنه: موفق!.

وكلما لاحظوا تطور إحدى الشركات، وقفزاتها الهائلة، وإبداعاتها الرائعة، قالوا عنها: موفقة!.

وهذه الإجابة هي خلاصة السؤال العريض الممتد عبر الزمان والمكان، ما أسرع نجاح هؤلاء البشر، وتلك المؤسسات والشركات؟.

إنه «التوفيق»!.

فيـا تُرى هل لهذا التوفيق سر خاص، أو وصفة خاصة، أو تقنية خاصة، أهو سر و«خلاص»؟!.

والحقيقة أنني حتى أنا شخصيًّا لا أعرف سر هذا السر!.

كل مـا في الأمـر أن الإنسان كائن مستقـل، لا يعلم دروبه وخفاياه، وأعمال جوارحه وخواطر قلبه إلا اللطيف الخبير!.

والتوفيـق من رب العبـاد قائم بالدرجـة الأولى على هذه الخصيصـة، المتمثلة في صـلاح القلب، واستقامـة الجوارح، وحسن العمل.

والإنسان مهما شوهـد أمام الملأ عاملاً ومشاركًا وخادمًا ومؤديًا للأمانة؛ فإن ما يُشاهَد عنه لا يمثل إلا جزءًا يسيرًا من المخفي عنهم!.

بل حتى الزوجة والأبناء في المنزل لربما لا يشاهدون الأب سـوى ساعـة أو ساعتين يوميًا، لا تعبّر عـن حقيقة ما يدور في الصـدر، وتتلجلج به النفس؛ فهل فهمتـم لماذا سيظل موضوع التوفيق سرًا!.

وكل مـا يمكن أن أقوله هنـا: إن عطاء الله واسع لا حدود له، وإكرامه يفوق الخيال، وهو في المقابل يمنع ويقدر ما يشاء.

فمن منحَ اللّٰهَ حبًّا صافيًـا، وعطاءً خالصًا، وسعيًا جادًّا، وخوفًا وأدبًـا، غرق في فيوض الحب، ولطائف الرضا، ما يَفلق الحجر، ويُدمع العين، ويأسر النفس، فلا الألسن تهدأ في ذكره، ولا الخيال يغيب عن لحظه، فتبارك اللّٰه أحسن الشاكرين!.

العيب

حدثت بعض الشباب في أثناء زيارتهم في بيتي عن موضوع «ثقافة العيب»، وسألتهم: لو أن صديقًا لأحدكم بينكم وبينه علاقة خاصة، عرفتم أنه يأتي إلى دار أحدكم ويكلم أختكم من عند الباب، ولا يبعد أكثر من ذلك، ما رأيكم؟!.

أجاب كل واحد بعبارات لا تخلو من الويل والثبور، وقطع العلاقة طبعًا؛ لأنه مارس العلاقة التي منحه إياها في غير مكانها، أو ما يُسمَّى بخيانة الصداقة، أو كما يقول العامة: «عيب عليك»!.

ثم سألتهم كم عيب عند كل واحد منا؟، كم من الشباب وللأسف من يتكلم مع بنات الشات عبر الرسائل؟!، أليس الذي مارسه ذلك الشاب هو نفس ما يمارسه البعض مع الأخوات؟!.

والله إنني لأقول كلمة للتاريخ: إن الفتاة وهي تتمنع عن مقارفة الخطأ مع الشاب، لهو الكمال في أرقى معانيه، والشرف في أعلى صوره.

إذا غابت ثقافة العيب، حينها تهون النفس، وتسودّ الدنيا، ويختفي الحب الجميل. الحياة التي تنتشر فيها ثقافة العيب في مكانها، هي في الحقيقة كنشر الطيب؛ الذي يحذيك ولا يحرقك!!.

المحدودية

من أميز ما يتميز به العقلاء إيمانهم بمحدودية أفكارهم وتطلعاتهم وخبراتهم!.

فهم في عالم الأفكار لا يتعدون حدود ما اطلعوا عليه، وعاشوه، وجربوه، من ثَمَّ فإنهم يفكرون ويخططون في حدود هذه القدرة.

فإذا ما سافروا إلى دولة أخرى، وجالسوا أشخاصًا مشهورين بالعمق الفكري، وسعة الاطلاع، تغيّرت كثير من أفكارهم وهمومهم.

والأمر ينطبق على التطلعات، فالمرء مهما تخيل وتمنى وحلم فإن التطلعات المرسومة في ذهنه تبقى في هذا الحد إلى أن يكبر، أو يطيل الدراسة حول ما كان يفكر فيه، ويحلم أن يصل إليه، ليجد أن تحقيق هذه التطلعات غير مناسبة لحاله وإمكانياته وقدراته، أو ربما غير مناسبة لوضعه ومكانته وحاله، أو صعبة التحقق عند التوغل في التفاصيل، وسماع ما وراء الكواليس!.

والحال كذلك في موضوع الخبرة؛ إذ يمكن للشاب أن يقرأ في مئات المواقع الإلكترونية، ويقرأ عشرات الكتب حول موضوع معين، ولكن هذه الخبرة ربما لا تتجاوز (٢٠٪) عند ممارسته عمليًا للمجال الذي قرأ عنه، أو المكان الذي أراد أن يعمل فيه.

إن هذه الحقائق تجعلنا نؤكد على أن لكل منا طاقة محدودة، وعلاقات محدودة، وخبرات محدودة، وإمكانيات محدودة.

نحن بحاجة ماسة إلى من يعلمنا الأولويات، والإستراتيجيات، ودقائق المعلومات، في العديد من التخصصات؛ التي تعني لنا الكثير.

علينا أن نربي أنفسنا على فسح المجال للتربية من قِبل الآخرين، والسماع من المتخصصين، والتزود من معارف المطلعين، والمشاركة في ميدان العاملين.

الشاب المتقدم العملاق الواعي، هو الذي يستطيع استثمار عمره، بحسن التلقي ممن سبقوه، والتشرف بالاستفادة ممن خدموه ووجهوه.

ويحسن بي أن أقول كلمة قاسية على نفوس الشباب نوعًا ما:

من لا يُرِدْ أن يسمع كلمة أَخْطَأْتَ فلن ينهض!!.

قلبي يحدثكم

المواقع الإباحية

لا أكتمكم سرًّا أنني أحيانًا أحاول تجنب بعض الموضوعات الحساسة؛ التي نستحي من سماعها، فضلًا عن ذكرها.

لكـن الإنسان أحيانًا لما يسمع في بعضـ المجالس، أو يقرأ في بعضـ المنتديات، أو يُخبر عن بعضـ القصص؛ التي كانت المواقع الإباحية سببًـا رئيسًا في ورطتهم، آليتُ أن أنصح، وإن كنت في النهاية سأصل إلى نتيجة يعرفها كل الشباب ممن - لا سمح الله- وقعوا في هذه المشكلة، أو سمعوها من أصدقائهم.

الأمـر لا يحتـاج إلى تفسـير أو تدليل أو توصيـف، الأمر يحتاج فقط أن نتعظ، ونربي النفس على كلمة «لا»!.

أتذكـر عندما كنـت طالبًا في مرحلة دبلـوم علم النفس، كان هنـاك دكتـور فاضل من بيت «آل مشموس»، ترجم كتابًا غربيًـا عنوانـه «الطريـق إلى نعم»، ويهدف الكتـاب إلى وضع آليـات ووسائل لتربية النفس علـى أن تنسجم وتتفاهم مع من

تقابـل، وتتفهـم و(تبلع) أحيانًـا بعض المواقـف؛ للوصول إلى نهايات مرضية للطرفين، ولو على حساب النفس!.

وبعد قراءتي للكتاب قلـت: لماذا لا يكون هناك كتاب آخر اسمه «الطريق إلى لا»!.

فالنفـس تحتـاج كذلـك إلى أن تتمنَّع على بعض الأمور، وتضع حواجز شديدة وصلبة وقاسية تجاهها!.

أذكر حول هذا الموضوع قصة لشاب بدأ الحديث معي حول دخوله عبر الإنترنت لمواقع إباحية، وكان الأول على دفعته في كلية الطب، وهو لا يملك جهاز «المحمول»، إنما كان يذهب إلى المقهى القريب، وأصبح يدمن المشاهدة حتى خسر دنياه وآخرته!.

فقد تعثر في الدراسة، واضطـرب داخليًّا، وما عاد يقاوم نفسـه، ولم تعنه حتى على تجـاوز الفصـل الدراسي وقد كان الأول على دفعته!.

وكلمـا اتصـل بي حكـى لي الموقف نفسه، فكنـت أقول له حينهـا: ليس لدي أي حل، الحل بيـدك فقط، عندما تستيقظ مـن غفلتـك ستنجح، ولا بد أن تعرف أنني لـن أستطيع إعادة الفصول الدراسية الماضية!!.

الغريـب أن هذا الشـاب على دماثة خلـق، وحسن تدين، ولكن الشيطان لا يفرق بين صالح وفاسد، ودارس وعاطل!.

ثـم إن هذا الشاب كان يتصل عليَّ بعـدّة أصوات، ويذكر المشكلة نفسها بأساليب مختلفة!.

نعم لقـد وصل إلى الوسوسة حتـى في نفسه، وعدم الثقة بتصرفاته.

ليـس عندي كبير شيء أضيفه حول هذا الموضوع سوى أن الولوج إلى هذا العالم يعني بداية الانحراف السلوكي، وحرمان الطاعة؛ لأن الملائكة تأبى أن تنظر هذه الصور!.

والنـاس صنفـان، صنـف مـلأ نفسه بفعل الخـير وداوم عليه، والخوف يحجزه ويمنعه، فهو في أمان ولو أخطأ، وصنف ثغرات وقته مفتوحة، وخيالاته لا حدود لها، وخلواته في أسفاره وصوامعـه مستمـرة، فهو في قلق ومرض يبحـث عمن يداويه، وهو أس الداء!، وصدق من قال: وداؤك فيك وما تُبصرُ.

عافانا الله وإياكم، ولا أرانا مكروهًا!، آمين.

الطريق

خذ ورقة وقلماً واكتب معي!

كـم مضى من عمرك؟ كم كان فيهـا من عمل لوجه الله، وما كان منها لحظوظ النفس؟

كـم كان في هـذا العمـر مـن أعمـال تفخر بهـا، وأخرى تستحي من ذكرها؟

كم منها ما يمكن أن ترفع صوتك بذكره يوم القيامة، وكم منها ما تتمنى أن تبلعك الأرض ولا يسمع عنه حرف؟!

إننـا في هـذه الدنيـا نمر في طريـق طويل، وطويـل جدًّا، والشيء الوحيد للسائـر في طريق الدنيا الذي يمكن أن يعرف الإنسان به صحة سيره مـن عدمه هو (الخارطة الورقية)، أو (المعرفة الذهنية) المبنية على معرفة سابقة بالخارطة، ولكن هذه الخارطة لا تفصِّل حجم العقبات والثغرات والزوابع التي قد تمر في الطريق!

وفي طريق الله هناك شيء وحيد يمكن من خلاله كشف الطريق والتحاكم إليه لمعرفة مدى الوصل من عدمه، إنه القرآن الكريم.

ولكن عظمة القرآن تبلغ مداها في الوصف الدقيق لإشارات الطريق وأبعاده من كل اتجاه. بل إنها تصف حال السائر في الطريق لتعينه على بلوغه!

يصف القرآن الكريم حال الضعف والنقص والحرص والشح واليأس والطغيان التي قد يجدها الإنسان في مراحل الطريق، ويصف الطريق الآمن المرسوم، ولو كان طويلاً. ويوم نرجع إلى استشارة القرآن في حركات حياتنا وملابساتها، وإلى رؤيته يعمل ويتحرك في مشاعرنا وفي حياتنا كما كان يعمل ويتحرك في حياة الجيل الأول، حينها سنفهم الطريق، ونحقق غاية مسيرنا فيه!

الشعور الخسيس

يعـرف أنه أصيل، وأن لأهله وأفراد عائلته أو قبيلته تاريخ مجيـد عاطـر! ويعرف أنه ابـن الأكارم، وأن الأصـول والشيم محشـوة في كل خليـة فيه! ولكـن هذه المعرفـة تتدنى وتنحط، وتنحدر وتتحدر إلى الدرك الأسفل!

تكشـف عنـه فـإذا هـو بوجهـين مختلفـين، وشعوريـن متباعدين!

إنفاق للمال في مقابل عنصر المنّ الكريه اللئيم.

وسماع للغناء العذب وكتابته، في مقابل الاستعلاء الكاذب وإذلال الخلائق.

استجاشة المشاعر لملء البطن وتلا في بعض حاجات الناس، في مقابل شعور خسيس واطٍ في كسر المروءة وهتك الحياء.

كلمـات مفعمـة بالحيويـة، ووحـدة العمـل، واشتراكيـة الفكـرة، في مقابـل ردات الفعل الطائشـة، والحقد والانتقام، والأذى باليد واللسان، وإثارة السخائم السخيفة.

صباحهـم لا يتوافق مع نداء الفطـرة، وقلوبهم لا ينسكب فيها النقاء إذ ملئت بالأراجيف والظنون الخائنة.

إن فضـل الإنسـان ونبله، وصوته ومجـده، لا يكون إلا بما وقـر في القلـب، وجددته النيـة، وأحاطت به الدمعـة، وملكت أحاسيس صاحبه الخشية، ومـن غيرها يستسلم لأناه الأمارة بالسوء وضميره الموجع، وشعوره الخسيس!

الذكريات

هنـاك خصيصة لا تعـرف إلا إذا فقدت، ولا تقدر إلا إذا استعذبـت!. فوجـود الأب والأم أو الطفـل يشـكل نعمة بالغة، ومتعـة عاليـة، ومهمـا كان منهما فـإن فقدانهما شـيء آخر، وأحزان لا توصف!

ومرارة التعب، ومقاساة الألم في الغربة أو التعلم أو المناضلة تحلو وتجمل وتبهج عند لحظات الانتصار، وسرور الناس.

والحياة بهذه تجمل وتصفق للنهاية!

إن تميّـز البيت الهانئ بقبلات تبصمهـا شفاه الأب على الأبنـاء كل صباح ومساء، وعفوية بريئـة في المخالطة والمعاتبة والمناصحة والتشجيع.

وتميّـز الحي الهـادئ بشيوخ ركـع، وشباب خلص مُتَّع، يتقاسمون الحب، ويتبادلون الزيارة.

ورنـين الحياة وعذوبتها يصفو في الأجواء الحلوة الرقيقة الصالحـة المؤتمنة ومـن هنا تتضح الحاجة إخـواني وأخواتي

إلى أن يكـون لكل منـا بصمة تميّزه، يضيف فيهـا للحياة لوناً جميـلاً وطعماً خاصاً فريداً، يُخلـط مع الحياة بعفوية يصعب التلذذ بغيرها!

مـا أجمل أن يبحث كل منا عـن أجمل شيء فيه، يبعث به للحياة بكل تدفق وحب.

يبحـث ولو على أيسـر وأسهل ما يمكـن أن يقدمه كشيء جميـل، يبحث عـن جار بسـؤال، أو عـن محتاج بصدقـة، أو عـن محراب لأذان، أو عن مجلس لحـل معضلة، أو عن طريق لأمـر بخير، أو نصح رقيق يزيح الشـر، أو ديوانية للتثقيف، أو مسامرة على رصيف، في جلسة خفيفة ظريفة طريفة هادفة.

ويـوم يفقـد أحـد هـؤلاء في بيت أو حَـيٍّ، تقـف ذكرياته الجميلـة، صوتـه، مواقفـه، بطولتـه، رجولتـه، إنسانيتـه، مصداقيته، مؤانسته، كتمثال تقدير!

إن أثقـال الحياة الصعبـة لا تفتت بقوة المجنزرات، وإنما بإذاعـة الخيرات، ونشر الحسنات، وصدق التوجهات، وجمال الذكريات.

الصداقة

قرأت كثيراً في كتب التاريخ والتراجم والآداب ووجدت أن الجميع يجمع على أنه يجب أن يكون للإنسان عدة أصدقاء، لكل منهم طعمه الخاص!

فصديق أو صديقان للخلة، والاستشارة، والمحاورة في الشأن الخاص، وآخر أو آخران للمؤانسة والتمشية، وثالث ورابع للقضايا المهمة والمشورة الكبرى، مع نيل الخبرة، وسماع الأخبار واللطائف.

الحياة أيها الإخوة والأخوات مليئة بالمستجدات والقضايا التي لا تنتهي، وهي تحت عباءة الأقدار! ولهذه الأمور تكمن الحاجة للصديق الذي تأمنه في الأكل والشرب والجلوس والسفر، والأسرار والنصائح. وهذا النوع له مميزات خاصة، في حبه وتحمله.

وكذلك الأنواع الأخرى في الصداقة لها مميزاتها التي يغض الطرف عن بعض شروطها.

الصداقة يا أصدقائي هي إحساس كل طرف بأنه بحاجة لأخيه الآخر، وأن كل ما يمنحه من معلومات أو أفكار أو أشياء

رآهـا فأعجبته، أو سمعها فآنستـه، أو جربها فسرته، هي من حـق الطـرف الآخـر أن يستمتع بهـا ويعرفها، لأنـه يعتقد أنه الجزء الآخر من روحه وجسمه، فلا بد حينئذ من توازنه!

هذه هي الصداقـة الحقيقية التي لا تكلف فيها، وسيكون مـن أسرارهـا الكبرى الدعـاء بالتوفيق، والتـوازن في الحب، والإرشاد عند الخطأ، وصدق من قال:

وإذا صفا لك من زمانك واحد

فهو المراد وعش لذاك الواحد

النوادي الليلية

قـرأت قبل فترة قريبة تقريراً عـن مدن الخطايا المشبعة بالمحرمـات، وذكـر التقريـر أحد الـدور العربية التـي تسمح بممارسة الحرام علناً!!

والحقيقـة أن هذا التقريـر غير دقيق مـن ناحية اختيار الدول، ولكنه بالعموم واضح المعنى والدلالات والإيحاءات.

إن فكرة وجود فنادق وشاليهات ونوادي صحية، يمكن أن يمارس فيها كل لون مـن ألوان الفحشاء والبغـاء أمر مشهور ومعلـوم، وأخطر ما فيه أنه متوافر في كل مكان في تلك الدول، حتى في الشوارع الرئيسة والكبرى!

ولذا فإن مسألة الخجل والحياء قَدْ كُسِرَتْ من قبل هؤلاء أيًّا كانوا مسؤولين رسميين أو منتفعين!

والإنسـان السوي بطبعه أنه يخشـى الولوج في هذا العالم أو حتـى التفكير فيه طالما أنه بعيد عنه، ولا يسمع به كثيراً، ولا يشاهده عياناً.

لكن الطامة الكبرى أن يفكر أحدهم أو إحداهن طالما أنه مسافر لدولة ما، ومن خلال التجول في شوارعها بهذا السؤال: ماذا بداخل هذه الفنادق والنوادي والشاليهات التي كان يسمع عنها؟ وربما ذهب من باب الفضول، فعاد وقد جرح قلبه عدة جراحات!

إن المغامرة في دخول هذه الأماكن ليس مجرد مخاطرة فحسب، بل هو دليل على خطورة انحراف في نفس هذا الإنسان!

إذ ماذا يتوقع في نادٍ ليلي، أصواته من الخارج لوحدها تكفي!!

إننا اليوم أمام تحدٍّ كبير وكبير جدًّا أمام ضمائرنا، والتاريخ الذي يكتب عنا، سواء كتبه الناس أم كتبته الملائكة أن نصون أنفسنا، وأن نجاهد لإزاحة المنكرات من طريقنا حتى لا تأنس بها نفوسنا فتذبل!

ورحم الله أبا أيوب السختياني عندما قال: والله لا أبالي بكثرة المنكرات والبدع، ولكن أخاف من استئناس القلب بها.

وقطعًا إزاحة المنكرات والبعد عنها أمر عظيم، وشيء كبير، ولكن إذا وجد البلاء، فلا أقل من مجاهدة النفس وصيانتها لترك كل ما يشين ويسيء للقلب.

والعاقل هو من يحسن إيجاد البيئة التي تحافظ على إنسانيته في ليله ونهاره، في بيته ومدرسته، وأمام شاشة تلفازه وكمبيوتره، وفي تقليب مجلته وجواله، لتكتب له الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

الممارسة

طلبتُ من أحد الأصدقاء أن يزور دولة عربية مميزة بتقنية متطورة فيما يحب ويتمنى. وبعد مدة قصيرة وجد هذا الصديق أن الذي استفاده في تلك الفترة القصيرة تفوق ما تعلمه أو عاشه في عمره!

باختصار: قد نتكلم عن الإتقان وجودة العمل، واحترام الوقت، وإنجاز المشاريع، وتطوير المهارات، وتعلم الخبرة الكافية للنجاح.

وكل هذه المعاني المهمة والراقية والمطلوبة لأي عمل يتمنى أصحابه أن يسودوا به لا يتأتى إلا بالممارسة والاحتكاك.

قد يعجب بعضنا من مؤلف مكثر من الكتابة المتقنة غالبًا، مع كثرة أشغاله وأعماله، كما قد نجد مؤسسة أو شركة تتطور تطورًا عملاقًا وتربح أرقامًا مذهلة، والقائمون عليها يعيشون كما يعيش الناس، أكلاً وشربًا وتمشية!

والحقيقة أن الفارق الجوهري بين هؤلاء وهؤلاء يمكن تلخيصه بكلمة واحدة (الممارسة).

لا يمكن أن نحترم أوقاتنا ونحن لم نمارس عملاً نملكه، أو لدينا مشاريع نود إنجازها ونيل الأرباح من ورائها.

ولا يمكن كذلك أن نعرف كيف تطور الآخرون بشكل مذهل، وقدموا أفكارًا رائعة، ومشاريع مدهشة، إلا إذا احتككنا بهم ومارسنا نفس الدور الذي يقومون به، من الاستيقاظ فجرًا، والشغل المحترف، وبالآليات الصارمة مع المرونة الصحيحة.

عندي أيها الإخوة والأخوات قناعة كبيرة أن سبب أكثر المشكلات التي يعاني منها الشباب والبنات في دراستهم أو في تعاملهم مع مشكلات الحياة هو عدم ممارستهم لأسباب النجاح، واحتكاكهم بالناجحين، الذين يعيشون كما يعيش هؤلاء، ويسهرون كما يسهرون، ولديهم من الهمم والاهتمامات كما لهم، ولكنهم مع ذلك هم ناجحون.

كلما بدأ أحد ممارسة اللون الذي يحبه (التعليم - التدريب - الإعلام - السياسة...) من سنٍّ مبكرة، مع تضحية قوية، ونفسية متعافية، فحينئذ سيكون التغيير الحتمي بإذن الله.

قالوا عن الكتاب

✍ سلسة من أروع ما قرأت كلمات بسيطة عميقة في معانيها.

بندر باتياه

✍ أحتفظ بهذه المقالات في مُجلد خاص في جهازي.. والآن سُعدت حقًا بخبر طباعتها فوالله بها من الخير الكثير.

هنادي العمودي

✍ أكاد أجزم أن نجاحه وبلوغه نفوس الشباب ما هو إلا لحديث صادق من قلبٍ مفعم بحب الشباب، وعبارات لا تجامل بل تصوّر الواقع بعينَي عاقل..وترسم ملامح التطور وتوجّه كل جديد لما هو مفيد.

وفاء باجابر

✍ يقرؤها من يقرؤها، فتوقظ في عقله جوانب كانت مغيّبة ويحيا يذكرها لا ينساها ، فأَنَّى له أن ينسى ما نُقش؟

إسماعيل الميمني

✍ يعايش الأفكار لحظة بلحظة ويعيشها قبل أن يحلها بفكر مقنن.

ماجد اليزيدي

✍ لقد أسعد هذا الخبر الكثير من شباب اليمن.

ناجي صالح بن ناجي

✍ فقرات أشبه ما تكون بالمحطات.

مهند بابصيل

✍ قلبي يحدثكم.. ليست مقالات وحسب وإنما هي منابر وضّاءه في طريق الشباب.

أفراح باجابر

✍ عندما يبتسم القلب.. تتدفق نبضاته.. فينطلق متحدثًا بأروع حَرفٍ وأعْذَبِ كَلِمٍ.. ليوسع مداركَ العقل.

لبنى علي

✍ ينابيع الخير كثيرة وكتاب قلبي يحدثكم نبع من ينابيع الخير حيث سقيت قلبي من ينبوعه.

تسنيم خالد الأحمدي

✍ قلبي يحدثكم.. كان بحق حديثًا من قلب لقلب فدخلها بلطف.

يسرى عبد الوهاب نورولي

✍ من قلب ينضح بحب الشباب ويتلمس احتياجاتهم ويدعمهم في كلمات هي البلسم لجراحهم وهي دليلهم للهداية بعد الله عز وجل.

زينب مانع البطاطي

✍ بساطة الحديث.. وحكمة المحدّث.. جعلت قلوبنا تنصت.

أماني دغريري

✍ جمع الكتاب بين شيئين: عمق الموضوع وبساطة الطرح.

أيوب محمد

✍ كتب فأبدع وأجاز، وأخرج لنا حلقات مميزة بأسلوب سهل ميسر وموضوعات تحاكي الشباب.

سارة أبو الخير

✍ همسات أبوية وآفاق تربوية تبعث الهمم وترقى بالفكر.. تُقدّم حلولاً ناجعة وتمنحك فرصة جديدة لإعادة ترتيب الذات.

أسماء النهدي

✍ انتظرناها بشوق كل ثلاثاء.

حنان عاشور

✍ أنارت العقل.. ووجهت الفكر.. بكلمات بسيطة.. ورؤى واسعة.. تحاكي الواقع.. خرجت من قلبٍ أبويّ يريد لأبنائه الرقي في عالم أشبه ما يكون بالمتاهة.. بورك المداد.. وإلى مزيد من الحديث عبر الآفاق.

صفية بادحدح

✍ أروع ما فيها موضوعاتها المشوقة والتي يُستفاد منها، مختصرة تساعد على القراءة.

حفصة أبو الخير

✍ رسالتي بصراحة يا دكتور هذه السلسة بالفعل حديث قلبك لقلبي.

شاكر الشهري

✍ لم أكن أعر هذه العبارات أي اهتمام.. حتى وجدت نفسي تلقائيا منجذبة إليها.. علمت حينها أنه حديثٌ تتلقفه الأرواح وليست الأذان.. فشكرًا لك.

أماني أبو رياح

✍ كلمات صادقات.. وعبارات منتقاة.. تعبر عما يختلج في النفس للآخر.. بكل شفافية.. وتصارح قبل أن تعاتب.. دون تجريح أو سخرية.

وسيم خان